سِيَر

الابطال والعظماء القدماء

سِيَر
الابطال والعظماء
القدماء

TALES OF HEROES AND GREAT MEN OF OLD

ترجمة الدكتور يعقوب صرّوف

طُبع ثالثةً في المطبعة الاميركانية في بيروت سنة ١٩٢٠

المقدمة

امَّا بعدُ فهذا كتاب بسيط للاولاد لم يتعرَّض فيهِ كاتبهُ للبحث عن اصل خرافات اليونان وتمحيصها لتجريد صحيحها من فاسدها كما جاء في تصانيف العلاَّمتين مَكس مُلَر والفس كوكس وغيرهما من العلماء الذين تتبَّعوا هذه الخرافات الى اصولها في مؤلَّفات كل الامم القديمة وتقاليدهم وسائر ما تداولهُ الناس عنهم ففتحوا بذلك بابًا واسعًا لمباحث شتى نافعة وابانوا كيف تحوَّلت اسماء الاشياء الى اسماء اشخاص عاقلة على توالي الايام وكيف تقرَّرت القصص والحكايات على تمادي الزمان حتى صارت تُعَدُّ حوادث حقيقيَّة ووقع الاجماع على التصديق بحدوثها والتسليم بها عند الذين اتَّصلت اليهم. بل قد اختار صاحب هذا الكتاب ان يقتصر على سرد تلك القصص والخرافات قاطعًا النظر عن تأويلها مكتفيًا بالفوائد التي فيها بلا تأويل لانَّها من ابدع ما جاء عن وصف حوادث واشياء ذات فوائد ادبيَّة عديدة كمقاومة الشهوات الجسديَّة وذم الانتقام والظلم واللوم على انواعهِ بالاقوال والحِكَم

والامثال والنوادر ولا سيَّما لانَّ نقص آداب اليونان يبيّن كمال الآداب المسيحيَّة . وفيها ايضاً شواهد واضحة على مدح كرم النفس وتفضيل الانسان مصلحة غيرهِ على مصلحة نفسهِ ومحافظتهِ على واجباتهِ وعلى كون الشجاعة وحب الوطن والصدق صفات شريفة سامية

فلذلك كُتب هذا الكتاب مع الرجاء ان قارئيهِ يقتدون بالأبطال المذكورين فيهِ في كل الخلال الحميدة التي اشتهروا بها ويجتنبون الرذائل التي عِيبوا عليها وجلُّ الرجاء ان يستعينوا بهِ على الاقتداء بالرب يسوع المسيح اشرف مَنْ يُقتدَى بهِ واعقل معلّمٍ وافضل قائد . وعليهِ الاتكال وبهِ التوفيق

الفصل الاول

سيرة ياسون وقصة المسح الذهبي



اورفيوس على السفينة أرغوس

حُكِي انهُ كان في قديم الزمان ملك اسمهُ پيلياس مالكاً على مدينة إيُولْكُوس على خليج پاغاسوس. وكان المُلك اصلاً لاخيهِ ايصون فقام عليهِ واغتصب المُلك من يديهِ ولكن اذِن لهُ بالاقامة في المدينة. وكان لإيصون ابنٌ صغيرٌ يسمى ياسون فخاف ان يغدر بهِ اخوهُ يوماً ويقتل ابنهُ ليجعل حق الملك لهُ ولاولادهِ فان ياسون كان الوارث الشرعي لتخت المُلك بعد ابيهِ فبعثهُ خفيةً الى خِيرُون المارد وكان خيرون هذا ساكناً في كهف في وسط غاب مشتبك الاشجار على جبل يُسمّى پيليون فيأتي اليهِ الابطال من سائر الاقطار فيعلمهم ركوب الخيل وكل ما يتعلق بالفروسية والمصارعة والصيد والقنص واشياء اخرى عجيبة غريبة

وأَمن پيلياس الملك جانب اخيهِ ايصون ولم يخش قيامهُ عليهِ واسترداد المملكة من يديهِ ولكنهُ لم يأْمن جانب ابن اخيهِ فكان يخاف انهُ متى كبر يكون اقوى من ابيهِ واشجع فيستردُّ الملك منهُ ولا سيما لان العرَّافين لما نظروا في مستقبلهِ قالوا لهُ احذر من رجلٍ يكون بنعل واحدةٍ فكان اذا افتكر في ذلك يخاف كما يخاف فاعلو الشرّ من عواقب الشرور التي يفعلونها ويتوقع هلاكاً قريباً. ولما طالت عليهِ الايام ولم يجد شراً من رجل بنعلٍ واحدة اطمأَنت نفسهُ وزعم ان الشر قد مضى عنهُ فامتلأَ قلبهُ فيهِ لفعل الشر لان القضاء على عملهِ الرديء لم يجرَ سريعاً(١) كما هو شأْن الاشرار في كل زمانٍ ومكان فانهم اولاً يخافون من كشف قبائحهم طبقاً لقول الكتاب المقدَّس "الشرير يهرب ولاطارد"(٢) ثم تتقسَّى قلوبهم فيزعمون ان قبائحهم لا تُكشَف البتة

وجعل ياسون يتعلَّم على يدَي خيرون المارد ولما شبَّ صار شجاعاً شديد البأْس وتمرَّن مع رفقائهِ الابطال على ركوب الخيل والسباق في الركض وصيد الخنزير في الوعور والمصارعة والمبارزة والقتال لان الابطال كانوا يتعلمون تلك الامور في قديم الزمان لينقذوا بلادهم من اللصوص وقطَّاع الطرُق والطغاة الذين

(١) جا ٨: ١١ (٢) ام ٢٨: ١

يظلمون الناس كما فعل البطلان هرقل وثيسيوس على ما سيجيء معنا في هذا الكتاب. واما الآن فالناس لا يتقاتلون كما يتقاتلون في زمان الابطال ولكن القوة والشجاعة لازمتان لهم كما كانتا لازمتين للابطال

ولما شبَّ ياسون عَلِم ان المُلك لهُ بعد ابيهِ وان عمَّهُ اغتصبهُ من ابيهِ ظلماً وعدواناً فكان كلما صعد على قمم الجبل ورأَى مدينة إِيُولكوس وقصر عمهِ الشامخ يقول في نفسهِ لابدَّ لي من استرداد مُلك ابي وطرد عمّي من السرير الذي اختلسهُ اختلاساً متى ناسبتني الاحوال وصار لي قدرة على ذلك. وصبر حتى صار عمرهُ عشرين سنة وفيما كان عمهُ يذبح الذبائح لِنِبْتُون الهِ البحر على شاطىء البحر والناس حولهُ جماعات يولمون ويسرُّون تناول رماحهُ التي كان يصطاد بها والتفَّ بجلد النمر الذي كان رداء لهُ وسار نحو الشاطىء الذي كان عمهُ يذبح عليهِ. فوصل في طريقهِ الى حافة نهر يسمَّى أَنَوْرُوس فوجد هناك عجوزاً جالسة تريد ان تقطع النهر ولا تستطيع لما بها من الضعف فحيَّتهُ بالسلام وطلبت اليهِ ان يعبر بها النهر لانها عاجزة لاتقدر ان تخوض الماء. قيل وكانت هذه العجوز هي الالاهة هِيرَا او يُونُو زوجة زفس اله الآلهة في زعم اليونان فتنكَّرت حتى لا يعرفها وجلست على ضفَّة النهر كعجوز اذلَّها الفقر

وأبلاها السقم والضعف لكي تمتحنهُ فاذا وجدتهُ متكبرًا لئيماً محباً لنفسهِ لا يبالي بمساعدة غيرهِ ولا يعين عجوزاً في كربتها قطعت عنهُ المعونة لانهُ لا يُرجَى منهُ خيرٌ واذا وجدتهُ وضيعاً كريماً رقيق الفؤَاد ليّن الجانب شجاعًا قويًا اعانتهُ على بلوغ مناهُ. فحملها ياسون كما يفعل الكرام اهل الشيمة والنخوة وخاض بها الماء حتى وصل الى مكانٍ كثير الاوحال فارتبكت رجلهُ في الوحل ولصقت نعلهُ بهِ فخرج على البرّ بنعلٍ واحدةٍ فقط في احدى رجليهِ والرجل الاخرى حافية. وكان لا يعلم ان تلك العجوز هي الالاهة هيرا بل حملها وعبر بها النهر حباً بعمل الخير لا استرضاء لها. وفي ذلك تذكرة لنا بأننا نقدر على ارضاء الهنا الاله الحي الحقيقي الذي في كل مكان عيناهُ مراقبتان الطالحين والصالحين (١) . فاذا عملنا الاعمال الصالحة فلا بدّ انها تنتج الخير واذا عملنا الاعمال الشريرة فلا بد ان تنتج شرًا اعظم منها فاعمالنا واقوالنا تجلب علينا الخير او الشرّ في الزمان الآتي بحسب ما تكون. ولا ننسَ ان محبة الذات اصل لكل الشرور فان لم نبالِ الاَّ بانفسنا لا نصير كرام الطباع حميدي الاخلاق متى كبرنا. فلو ان ياسون كان لئيماً متكبرًا محباً لنفسهِ وليس لغيرهِ وابى ان يغيث العجوز التي استغاثتهُ وقال لها ابعدي عني فان

(١) ام ٥ ر٢١

حملي وهمّي يكفيانني لخسر معونتها وخاب في مسعاهُ وخمل ذكرهُ ولم يطِرْ صيتهُ في الآفاق ولا تخلّد ذكرهُ في بطون الاوراق

ولمّا عبر النهر ودّع العجوز وجاء برجل حافية ورجل ناعلة الى حيث كان عمّهُ والشعب يذبحون ويولمون. وبعد فراغ الوليمة رجع الناس الى المدينة فرجع معهم وكان الذين يرونهُ في المدينة يتعجبون لان الغرباء لم يكونوا يدخلونها الاَّ نادرًا وراعتهم هيبتـهُ وطلعتهُ وراق لهم منظر شعرهِ الذي لم يُقَصَّ طول ايامهِ فقال بعضهم انهُ ابلُّو اله الشمس وقال آخرون لا بل هو مارس (المريخ) اله الحرب . وفيما هم يتحدَّثون كذلك مرَّ بيلياس الملك في مركبتهِ والبغال امامهُ تجرُّ المركبة فنظر الى ياسون طويلاً واعجبهُ منظرهُ وعلامات الشيمة والشهامة التي كانت تلوح على وجههِ فخاف ثم حانت منهُ التفاتة الى رجليهِ فرآهُ لابسـًا نعلاً واحدةً فقط فتذكَّر قول العرَّافين وارتعد ارتعادًا عظيماً من الخوف

فأوقف مركبتهُ وسألهُ قائلاً مَنْ انت فقال ياسون انا ياسون بن ايصون وقد اتيت لاستردَّ مملكة آبائي التي اعطاهـا زفس لإيولوس . وكان منطقهُ فصيحًا وكلامهُ عذبًا لطيفًا لان خِيرُون المارد كان يوصي الابطال ان لا يستعملوا الغلظة والجفاء في الكلام . ولما قال ذلك ذهب الى بيت ابيهِ فقبلهُ ابوهُ بالافراح

واتى عمَّاهُ فارس وأَمِيثاون وبنوهما يزورونهُ واقاموا الولائم والافراح خمسة ايام متوالية وفي نهايتها اخبرهم ياسون بما كان في نيتهِ ان يفعلهُ فقاموا جميعًا وذهبوا الى قصر الملك بيلياس

فتلقَّاهم بيلياس بالاكرام والترحاب وتظاهر بالانس والسرور وكان باطنًا يودُّ لو ساعدهُ الحظُّ على الفتك بياسون واعدامهِ الحياة ولكنهُ لم يجسر ان يفعل ذلك لانهُ كان لئيماً جبانًا والجبناء لا يجترئون على لقاء الرجال وقتال الابطال. ثم كلموهُ بما كان في عزمهم من استرداد المُلك الى ياسون فاصغى اليهم حتى فرغوا ثم قال لهم اني اسلمكم الملك بشرط ان تتركوا لي قطعاني ومراعيَّ وتمهلوني الى أَجلٍ معيَّنٍ. وجعل بعد ذلك يخبر ياسون عن السلخ الذهبيّ ويحثهُ على الذهاب اليهِ والرجوع بهِ زاعماً انهُ ان رجع بهِ يرقى الى ذروة المجد والعز ويشغل اسمى مقامٍ في الكرامة والشرف لانهُ يكون قد فعل ما لم يفعلهُ احدٌ قبلهُ. وختم كلامهُ بأَن رجوع ياسون بالسلخ الذهبيّ يكون نهاية الاجل فيتنازل لهُ عن المُلك

فرضي ياسون بوعد بيلياس واشتاقت نفسهُ للحصول على ما حبَّبهُ بهِ مخدعًا بلطفهِ ورقَّة كلامهِ وما تظـــاهر بهِ من الانس والاكرام. وكان بيلياس داهية من الدواهي فنصب لياسون هذا الشرَك املاً انهُ يهلك بهِ فيتخلَّص من شرهِ لانهُ ان لم يهلك من

البحر الهدَّار اهلكهُ اهل كُلخيس وان سلم من اهل كلخيس لم يسلم من الثورين اللذين ارجلهما من نحاس وانفاسهما من نار وان سلم منهما لم يسلم من التنين الذي يحرس السلخ الذهبيَّ فلا ينام الليل ولا النهار . وهانت لدى ياسون المصاعب وخفَّف لهُ حبُّ المجد والشرف ركوب الاخطار واقتحام الاهوال وحقَّق لنفسهِ الامانيَّ التي كانت تخطر لهُ ولرفقائهِ الابطال وهم جالسون في ظل الاشجار على جبل پيليون يتكلمون عن السلخ الذهبي والاخطار التي تحول دون القاصد اليهِ فتصدُّهُ عن الحصول عليهِ. فوعد پيلياس باستخلاص السلخ الذهبيّ والرجوع بهِ اليهِ وصمَّ على انجاز وعدهِ ولو بذل لاجلهِ الحياة وما فيها

واما خبر السلخ الذهبي والاهوال التي كانت تصدُّ الناس عن الوصول اليهِ فنذكر طرفًا منها في ما يأْتي: قيل انهُ كان لأَطاماس ملك ارْخُو مِينُوس ابن اسمهُ فركْسُوس وابنة اسمها هِلاَّ واسم امها نَفَلا فماتت امها وتزوَّج ابوها امرأَة حسودًا قاسية اسمها إينو فدبرت على قتلِ ابنَي زوجها مخافة ان يرثا الملك من بعدهِ فيُحرَم اولادها منهُ. فأَوصت نساء المدينة ان يحمّصنَ الحنطة اذا جاء زمان البذر والزرع فكاد نساء المدينة معها وفعلنَ كما اوصتهنَّ فلم تنبت الارض قمحًا وصار جوع عظيم. فارسل الملك رُسلاً

الى هيكل دلفي يستشير كهانة العرافين في امر الجوع فاقنعت زوجتهُ الرسل ان يقولوا لهُ ان الجوع يرتفع عن المدينة بتقديمهِ ابنهُ فرِكسُوس ذبيحة للاله زفس فقالوا انهُ كما علمتهم زوجتهُ . فجزع اطاماس الملك جزعًا شديدًا على ابنهِ وتمنَّع عن ذبحهِ ولكن اهل المدينة صدَّقوا كلام الرسل فاصرُّوا على قتلهِ رجاء ان يرتفع الجوع عنهم فاجابهم الملك الى ذلك كرهًا . ووضعوا فركسوس امام المذبح وهمَّ الكاهن بضربهِ واذا كبشٌ صوفهُ من الذهب هجم بغتةً وحمل فركسوس واختهُ على ظهرهِ وطار بهما حتى غاب عن الابصار . وما زال طائرًا بهما فوق الاودية والجبال حتى جاز خليج أُوبُنط وارض بويبا و بحر ايجي وأتى الى البوغاز المسمَّى اليوم بوغاز الدَّرَدَنيل . فاعترى هلاَّ الدوار هناك فوقعت عن ظهر الكبش الى البحر وغرقت هناك ولذلك سُمّي هذا البحر عند اليونان هلاَّسپُنت اي بحر هلاَّ . واما فركسوس فبقي راكبًا على الكبش حتى جاء بهِ الى مدينة كُلخِيس على الشاطئ الشرقي من البحر الاسود قرب سلسلة جبال قوه قاف . فوقف الكبش هناك وكان الملك حينئذٍ ايِتيس بن هِليوس فترحَّب بفركسوس وزوَّجهُ بابنتهِ خَلسِيوپا . وذبح فركسوس الكبش وقرَّبهُ لزفس وسلخ جلدهُ الذهبي عنهُ وعلَّقهُ على شجرة سنديان في الغاب المقدَّس المخصَّص

لمارس (المريخ) اله الحرب . وعاش فركسوس في كلخيس سنين كثيرة ومات هناك

وشاع عنهُ في روايةٍ بعد موتهِ انهُ قلِقٌ لا يستريح في قبرهِ لانهُ مدفونٌ بعيدًا عن قبور آبائهِ وانهُ لا يستريح ما لم يردّ السلخ الذهبي المعلّق على شجرة السنديان الى بلاد اليونان . وفي روايةٍ اخرى ان الملك ايتيس قتلهُ بعد ما ترحب بهِ ليبقى السلخ الذهبي عندهُ لان العرّافين قالوا لهُ ان المُلك يدوم لك ما دام هذا السلخ في بلادك فخاف ان يذهب فركسوس بهِ من بلادهِ فيذهب المُلك من يدهِ فقتلهُ . واشتهر من ثمَّ في بلاد اليونان ان الذي يذهب الى كلخيس ويركب اخطار البحار والثورين اللذين ارجلهما من نحاس والتنين الذي لا ينام ويأتي بالسلخ الذهبي يفعل افعال العظام ويفوق الاقران شرفًا ومجدًا

فلمَّا اقترح الملك بيلياس على ياسون ان يأتي بالسلخ الذهبي لما فيهِ من البأس والقوَّة وحثهُ على اكتساب المجد الرفيع واحراز قصبات السبق على ابطال اليونان لبَّاهُ ياسون الى ذلك ولم يتمنع عن قبول الاقتراح لاسباب منها ما ذكرنا ومنها ان التمنُّع كان يُعَدُّ عليهِ جبانةً وعارًا ومنها ان فركسوس السابق ذكرهُ كان ابن عمّ ابيهِ ايصون فلذلك كان استرجاع السلخ الذهبي الى بلاد اليونان

واجبًا عليهِ بسبب ما بينهما من قرابة النسب ومنها ان رجوع المُلك اليهِ كان متعلقًا على استرجاعهِ للسلخ الذهبي بوعد پيلياس الملك. فلذلك ارسل رُسلاً الى رفقائهِ الابطال يدعوهم لمساعدتهِ على جلب السلخ الذهبي وذهب بنفسهِ الى أرْغوس بن فركسوس وطلب اليهِ ان يبني لهُ سفينة ذات خمسين مجذافًا حتى تكون اكبر سفينة بُنيت في بلاد اليونان . فبنى لهُ السفينة على شاطىء خليج پاكسوس قرب مدينة ايولكوس وسمّاها أرْغوس باسمهِ. ويقال ان اثينا الاهة الحكمة علّمتهُ كيف يبنيها قويةً متينةً سريعة السير في الماء لانّ قدماء اليونان كانوا يعتقدون ان كل ما يُصنَع جيدًا ويكون متقنًا ومحكمًا يُصنَع بتعليم الآلهة ومساعدتها للصانع. وكان بعض هذه السفينة مبنيًا بخشب اشجار پيليون التي كان ياسون ورفاقهُ الابطال يستظلون في ظلها بعد الكرّ والفرّ والمكافحة عند المارد خيرون على ما تقدّم بهِ الكلام

ولما تمّ بناء السفينة رسم المارد خيرُون خارطة فيها صور النجوم لكي نسير السفينة مستدلّةً بها في البحار المجهولة التي كانت في طريقها واقلع ياسون ورفاقهُ في فصل الربيع عند طلوع الثريا وكان عدد رفاقهِ خمسين بطلاً منهم هرقل وكَسْتُور وپلِيذِيوُشِس المعروف بپُلُوكس وپلِيوس وتِيلامُون وزِيتِس وكَلاَيِس ومِيلياجِر

ولايِرْتس وبوليفِيموس ومپْسُوس النبي وأُورْفِيُس الذي كان يغنّي فيطرب الناس ويجعل الوحوش الضارية تأنس وتذلّ وتيفِس مدير السفينة . ووقف ياسون في موخّر السفينة وصبّ خمرًا من كأس ذهبية ونادى زفس والرياح والبحر والليل والنهار متوسلاً ان تسهّل لهم السفر حتى يرجعوا غانمين سالمين فابرقت البروق ودوت الرعود وضرب اورفيوس على عودهِ وانشد ووضع كلٌّ من الابطال يديهِ على مجذافهِ وجذّف فصارت السفينة تمخر المياه وتشقّ احشاء خليج باكاسوس شقًا. فساروا ملازمين حدود مغنيسيا حتى جاءوا الى شبه جزيرة پلينا ثم الى جزيرة لمنوس في بحر ايجي فنزلوا هناك على البرّ الّا هرقل فالحّوا عليهِ ان ينزل معهم ويستريح من اتعاب السفر فأبى وأصرّ على المسير. فتركوهُ وعكفوا على اللهو والطرب والولائم والافراح زمانًا طويلاً حتى اشتدّت عليهم لجاجة هرقل فانقادوا اليهِ وكفّوا عن اللهو وجدّوا السير الى ساموثراكي ثم هلاّسپنت ثم بحر پرُوپنْتِس المسمّى اليوم بحر مرمرا فنزلوا هناك على جزيرة فيها تلّ عال يسكنهُ ماردان صورتهما صورة دبّ ولكلٍّ منهما ستّ اذرع فقتلوهما ثم سافروا فهاجت عليهم ريح مضادّة في الليل فردّتهم الى الجزيرة التي سافروا منها فظنّ الدُولِيونيُون الذين يسكنون فيها قرب التل انهم اعداء

قد اغاروا عليهم فابتدروهم بالهجوم تحت جنح الظلام واقتتلوا قتالاً شديداً حتى انتصر الابطال وانهزم الدولينيون بعد ان قُتِل ملكهم سِيزِيكُوس وخلق كثيرٌ منهم. فلما علم الابطال ان الملك من القتلى حزنوا عليهِ حزناً شديداً لانهُ كان قد اكثر الاحسان اليهم فعملوا لهُ مناحةً عظيمة وقدَّموا الذبائح ودفنوهُ بالتبجيل والاكرام

ثم سافروا الى ميسيا ونزلوا هناك لان اذرعهم كلَّت من طول التجذيف وانتشروا عليها تارةً يتنزهون في خمائلها النضرة وطوراً يرِدُون مياهها العذبة او يستظلون باشجارها الظليلة. وتوغَّل هرقل وهيلاس يوماً في بعض الغياض وضلَّ هيلاس وأَتى الى بحيرة فوقع فيها وهو ينظر الى مائها ومات وجال هرقل من غاب الى غاب يناديهِ ويفتش عنهُ الشواهق والكهوف حتى استطال رفاقهُ غيبتهُ فسافروا وتركوهُ . ولما ملَّ من التفتيش عاد الى رفاقهِ فاذا الارض والسفينة قد غابت عن الابصار فعاد الى ارغوس كئيباً كاسف البال وقضى باقي ايامهِ في خدمة ابناء زمانهِ

وجاء الابطال في السفينة الى ببريشيا وكان رجلها أَميكوس يقاتل كل غريب يأْتيها ويقتلهُ فلما نزل الابطال فيها قام لقتالهم فبرز اليهِ بُلُوكس وقتلهُ وسافروا من هناك ونزلوا الى سَلْمِيدُسُوس في حدود ثراكي وكان ملكها اعمى واسمهُ فِينِيوس وكان يعرف

مستقبل الناس فاتوا اليهِ ليخبرهم بمستقبل سفرهم

ويُروى عن فينيوس هذا خبر محزن جدًّا وهو ان بعض النساء اخبرتهُ خبرًا كاذبًا فغضب غضبًا شديدًا وقتل ابنيهِ فسخطت عليهِ الآلهة وضربتهُ بالعمى عقابًا على ما فعل بابنيهِ وبعثت لتعذيبهِ وحشين هائلين وجهاهما كوجوه النساء ومنظرهما سقيم ضعيف كأَنهما يكادان يموتان جوعًا ولهما مخالب واجنحة كالطيور . فكانا اذا وُضع الطعام امامهُ يأْتيان فيخطفان معظمهُ ويتلفان الباقي لكي لا يبقى لهُ ما ياكلهُ ويتركانهِ جائعًا مهزولاً يبكي ولديهِ اللذين قتلهما مغرورًا بكلام المرأَة الكاذبة. فلمَّا سألهُ الابطال عن الطريق التي يسافرون فيها قال لهم اني اخبركم عنها وعن الاخطار التي تلقونها فيها اذا نجَّيتموني من الوحشَين اللذين يخطفان طعامي ويكدّران صفو ايامي. فوعداهُ بذلك. فامر بمد الخوان واحضار الخبز واللحم والخمر ولما هموا بتناول الطعام اقبل الوحشان يصرخان وحملا الطعام . فقام اثنان من الابطــال وهما زِيتِس وكَلاَيس المجنَّحان ابنا بُورِياس واستلاَّ سيفيهما وطرداهما فطارا على البرُوبنتِس (بحر مرمرا) وبحر ايجي وطار البطلان وراءهما وقطعوا بلاد اليونان واتوا الى جزيرة ستروفادِس بعيدًا عن سواحل مسينيا فامسكهما البطلان هناك وارادا ذبحهما فمنعتهما

الالاهة إِيرِس من ذلك وعاهدهما الوحشان انهما لا يعودان الى فينيوس ولا يخطفان طعامهُ فيما بعد

فهذه الرواية من جملة القصص الملفَّقة كما يحكم القارئ لأوّل وهلة ولكنها تشفُّ عن معنىً ظاهر وهو ان العقاب لا بدَّ ان يتلو الاثم وان الاثيم يجازَى على اثمهِ لا محالة ان لم يكن عاجلاً فآجلاً . ولأشباه هذه القصة فوائد من وجوه شتَّى كذكر الصفات الممدوحة مثل الشجاعة والثبات والجدّ والاقدام ونحو ذلك مما سيأتي معنا في اثناء الكلام

فاخبر فينيوس الابطال عن طريقهم وعمَّا يعرض لهم فيهِ من المخاطر واوصاهم بالصبر والتأني والحذق والشجاعة لنيل المطلوب وعلَّمهم كيف يتخلَّصون من الشدائد التي تحول دونهم . فكان كما اخبرهم لانهم لم يبعدوا عنهُ الاَّ القليل حتى دخلوا البحر العجَّاج المعروف اليوم بالبحر الاسود . ولم يكن احدٌ من اليونان قد سافر فيهِ قبلهم لكثرة ما كان شائعاً بينهم عن مخاطرهِ واهوالهِ حتى ضُربت بشدائدهِ الامثال فلمَّا لاحت امامهم الصخور الطافية التي يسمونها سِمپلِكادِس والضباب يغشى ما بينهم و بينها فلا تنجلي لابصارهم وسمعوها تتلاقى فتتلاطم وتسحق كل ما تنطبق عليهِ ذابت قلوبهم فيهم وصاحوا يا ويلنا ان اطبقت تلك الصخور علينا سحقتنا

لامحالة. وكان فينيوس قد علّمهم قائلاً اذا دنوتم من هذه الصخور فأطلقوا حمامةً امامكم فتطير بينها اذ لا يوجد سبيل آخر للمرور من هناك فاذا مرَّت سالمةً فاتبعوها عاجلاً وكونوا حذورين يقظين. فاطلقوا الحمامة فاخترقت الضباب ومرَّت بين تلك الصخور المظلمة فاطبقت عليها فلم تُصِب الاَّ ريشة من ذيلها ثم افترقت فقال الابطال قد حان الزمان ومزَّقوا بمجاذيفهم احشاء الماء حتى اختلط عرقهم بالزبد الجائش حول مجاذيفهم فانطلقت السفينة مسرعة كالبرق ولما اطبقت الصخور كانت قد جازتها فلم تلحق بها ضررًا

فساروا اياماً كثيرة على حدود بُنْطس حتى وصلوا الى نهر فاسيس الجاري في ارض كلخيس حيث كان السلخ الذهبي فوجدوا اولاد فركسوس هناك وقد انكسرت بهم السفينة على نهر اريتياس فاخذوهم معهم ودلَّهم اولاد فركسوس على مكانٍ امينٍ يرسون فيهِ لمعرفتهم باماكن ذلك النهر ولولاهم لتعسَّر على الابطال ان يجدوا مرسى امينًا فكان نزول اولاد فركسوس معهم خيرًا عظيمًا لهم

ثم نزلوا الى البرّ وذهب ياسون الى ملك كلخيس وكان اسمهُ ايتِس فاخبرهُ انهُ قد اتى ليأخذ السلخ الذهبي الذي علَّقهُ فركسوس على شجرة السنديان الى بلاد اليونان. وكان الملك حريصًا جنًّا

على السلخ المذكور ودبّر لصيانتهِ تدابير متعدّدة عظيمة الاخطار والمهالك لا يكاد الانسان يقوى عليها بنفسهِ فقال لياسون انك ان قدرت ان تفعل ما اطلبهُ منك اعطيك السلخ والاَّ فلا . فقال حبًّا وكرامةً فما الذي تقترحهُ عليَّ . قال تضع النير على عنقي الثورين اللذين ارجلهما من نحاس وانفاسهما من نار وقد اعطاني اياهما الاله فلكان وتقرنهما معًا للحراثة وتحرث عليهما حقل مارس (المريخ) ثم تبذر فيهِ اسنان التنين التي تنبت من الارض رجالاً مسلَّحين

فقال ياسون اني قابل بذلك فقد اتيت لآخذ السلخ الذهبيّ على كل حال ولو حال دونهُ شرُّ الاهوال . ولكنهُ كان يعلم انهُ لا يقدر ان يقوى على المصاعب التي وضعها الملك في طريقهِ ولا يستطيع الفوز بمرادهِ فحار في امرهِ واوشك ان يرجع عن عزمهِ لو لم يأتهِ العون من حيث لا يعلم . وذلك انهُ كان للملك ايتِس ابنة اسمها ميديا من ادهى النساء واخبثهنَّ وابرعهنَّ سحرًا . فلما رأَت ياسون تعلَّق قلبها بهِ فقالت لهُ ان وعدتني انك تتزوَّج بي وتأْخذني معك الى بلاد اليونان اعنتك على نيلِ السلخ الذهبي . وكان ياسون قد تزوَّج بِهِبسِبيلي ملكة جزيرة لَمنوس لما نزل هو والابطال عليها فكان مقيدًا وكان الواجب عليهِ ان يرفض طلب ميديا ولكنَّ رغبتهُ في الحصول على السلخ الذهبي أَحلَّت لهُ

ما لم يكن يحلُّ فقبل طلبها. وجلب على نفسهِ الاكدار والاوجاع بعملهِ الرديء هذا طبقًا لقول الكتاب المقدَّس ان "ما يزرعهُ الانسان فاياهُ يحصد". فمن يفعل الشرَّ يأتي الشرُّ عليهِ ولو بعد زمانٍ طويل.

وحسنت لياسون الامور اولاً ولكن ساءت اخيرًا كما سيظهر لنا فلما وعد ميديا بالزواج اعطتهُ دهانًا يدهن بهِ جسدهُ وترسهُ ورمحهُ فيقيهِ من النار وطعن الرمح وضرب الحسام يومًا كاملاً واخبرتهُ ماذا يفعل اذا طلع عليهِ الرجال المسلَّحون من الارض. ولما جاء اليوم المعيَّن ليقرن الثورين ويحرث الحقل المقدَّس اجتمع الناس جماهير ووقفوا على التلال ليروا ماذا يحلُّ بهِ. وجاء الملك ايضًا وبيدهِ صولجان من العاج وعليهِ رداءٌ من الارجوان وجلست ابنتهُ ميديا بجانبهِ وقلبها مضطربٌ فيها خوفًا على ياسون ان يخونهُ سحرها فيهلك امام عينيها. ثم خرج الثوران واللهب يقذف من جوفيهما فيحرق الاعشاب امامهما ولما دنوا من ياسون نكَّسا رأسيهما الى التراب واشرعا اليهِ قرونهما الحديدية ووثبا عليهِ وثبة عنيفة حتى خُيّل الى الناظرين ان قد قضي اجلهُ ومزّق كل ممزَّق فانقضَّ ياسون عليهما فامسكهما بعنقيهما وشدَّ عليهما النير وجعل يحرث الحقل عليهما حرثًا عميقًا فلما شاهد

الابطال ذلك صاحوا من الفرح حتى شقَّت اصواتهم عنان السماء
ولما فرغ من الحرث ناولهُ الملك خوذةً من النحاس فيها اسنان التنين فجعل يبذر الاسنان فتنبت من الارض ابطالاً متقلدين السلاح ثم زحفوا عليهِ واشرعوا نحوهُ اسنَّة رماحهم حتى لم يعُد لرؤُوس الاسنَّة نصيب من جسدهِ. فخاف رفاقهُ خوفاً شديدًا وخافت ميديا ايضاً ان يكون قد نسي ما علَّمتهُ اياهُ او ان يخيب سحرها ولكن لم يطل زمان خوفهم حتى ألقى ياسون الخوذة في وسط الرجال المسلحين فانقلبوا عنهُ وجعلوا يتقاتلون حتى قُتِلوا عن آخرهم ونجا ياسون فصاح رفاقهُ فرحاً وبشرًا
وجاء ياسون الى الملك يطلب السلخ فأبى الملك ان يعطيهُ اياهُ لانهُ كان يقترح ما اقترحهُ عليهِ متاكدًا ان البشر يعجزون عن اتمامهِ فيتخلص منهم على اسهل سبيل ولا يظهر ضنُّهُ على السلخ في عيون الناس ولذلك لما رأى من ياسون ما لم يكن ينتظرهُ وايقن انهُ لم تبقَ لهُ حيلة على صدهِ عنهُ مع المحافظة على قولهِ اضمر لهُ السوء وعزم على قتلهِ وقتل رفقائهِ واحراق سفينتهم في الغد فيمحو ذكرهم من العالم. ولكن ابنتهُ ميديا خلَّصتهم من شراكهِ واوصلت ياسون الى السلخ الذهبي رغماً من ابيها
وذلك انهُ كان يحرس السلخ على ما يُروَى تنينٌ هائلٌ فتَّاك



أخذ السلخ الذهبي

لا ينام ليلاً ولا نهاراً فقطّرت ميديا عصار بعض العقاقير المنوّمة وذهبت بياسون الى الغاب ورشّت العصار على التنين وجعلت تقسم عليهِ وتعزم كما يفعل الرقاة حتى وقع عليهِ سبات وجمدت عينهُ فلم تعُد تتحرّك فاسرع ياسون الى السلخ فاقتلعهُ عن الشجرة وعاد بهِ الى السفينة غانماً آملاً ان ترجع مملكة آبائهِ اليهِ. وتزوّج بميديا وعاد هو والابطال الى بلادهِ

فغنم ياسون السلخ الذهبي بالشجاعة والاقدام والسحر والشرّ ايضاً فلم يكن حصولهُ على السلخ خاتمة اتعابهِ و بداءة نعيمهِ وسعادتهِ بل ان الشرّ بقي كامناً في طريقهِ وبقي الهمُّ راصداً لهُ في حياتهِ لانهُ قَبِل معونة ميديا الشريرة وتزوّج بها وهو مقيّد بغيرها ولانهُ فعل ايضاً اموراً أُخرى تُذكر معنا في اثناء الكلام. فارتكب بعملهِ هذا جهالة عظيمة وكان خيراً لهُ ان يرفض مساعدة ميديا ويسعى بنفسهِ ويقتحم الاخطار ولو عاد خائباً من ان يستعين بالشرّ على الفوز بغرضهِ. فاعلموا ايها الاولاد هذا ولا تنسوا في حياتكم ان الفشل في الامور خيرٌ من النجاح فيها بطرق الشرّ ومساعي الاثم لان هذا النجاح عارٌ وهوان على الانسان وعاقبتهُ الخسارة والشقاء غالباً

وسافر الابطال خفيةً تلك الليلة مسرعين على نهر فاسيس ودخلوا البحر وجازوا بين الصخور الطافية المتلاطمة التي سبق

الكلام عليها. فلما شعر الملك ايتس بفرارهم وفرار ابنتهِ ميديا معهم وعلم ان ما فعلهُ ياسون كان بسحرها وتدبيرها غضب غضباً عظيماً وتبعهم مسرعًا . وكانت ميديا قد سرقت اخاها أَبسِرتُوس ليلة فرارها واخذتهُ معها لغايات لا يعلمها الاَّ الله والظاهر انها علمت ان اباها يجدُّ وراءها فدبَّرت تدبيرًا شريرًا تتخلص بهِ منهُ . فلما رأَت ان سفينة ابيها قد قربت من سفينتها ذبحت اخاها وقطَّعتهُ والقت قطعهُ في البحر حتى اذا رأَى ابوها جثة ابنهِ المقطَّعة يقف لالتقاطها فتنجو سفينتها منهُ. ففعلت بذلك ما لا يفعلهُ الاَّ الاشرار القساة وكفى بفعلها هذا دليلاً على رداءتها وعدم اهليتها لان تكون زوجةً لرجلٍ كياسون . فلما رأَى ابوها قِطع ابنهِ طافيةً على وجه الماء حزن حزنًا عظيماً لانهُ كان يحبهُ جدًّا واوقف السفينة لالتقاطها وكفَّ عن اتباع سفينة الابطال ثم عاد بجثة ابنهِ الى مدينتهِ كلخيس وجهَّز هناك سفنًا وانزل فيها رجالاً وامرهم ان يرجعوا بابنتهِ ميديا ليعاقبها على ما فعلت وتوعَّدهم قائلاً انكم ان لم تعودوا بها عاقبتكم في مكانها

هنا وان القارئ يستغرب ان يرى اولئك الابطال الكرام الطباع وياسون في مقدَّمتهم يفعلون فعل اللئام الانذال ويوافقون ميديا الشريرة على شرّها عوضاً عن ان يصدُّوها عن قتل اخيها

ويردّوها الى ابيها وذلك اقلّ ما يُنتظَر منهم. ولكنهم اباحوا لها عمل تلك المنكرات ووافقوها على شرّها لانهم كانوا يعلمون ان ياسون حصل على السلخ الذهبي بتدبيرها ومساعدتها وكان الحصول عليهِ غاية ما يتمنّونهُ فلم يهمّهم ما توصينا بهِ التوراة وهو ان خسارة الشيء خيرٌ من الحصول عليهِ بالشرّ. وربما خافوا ايضاً من مقاومتها زعماً انها تضرّهم بسحرها

وساروا حتى جاءوا الى جزيرة شِركي فقدّموا هناك ذبائح ليتبرَّروا من الذنب الذي لحقهم بقتل ابسرتوس اخي ميديا لعلمهم ان قتلهُ ذنبٌ عليهم وانهم يحتاجون الى الغفران فظنوا انهم ينالون ذلك الغفران بممارسة بعض الطقوس وتقديم الذبائح غير عالمين ان الله وحدهُ يغفر الخطايا. فان الآلهة التي كانوا يعبدونها كانت آلهة ظالمة قاسية تحب الانتقام كما كانوا هم انفسهم فزعموا ان تقديم الذبائح لها يصرف غيظها عنهم وان ممارسة الطقوس تجلب رضاها عليهم فكانوا يمارسونها خوفاً من العقاب لا طلباً للتطهير من الخطيئة. اما نحن فالانجيل يعلّمنا ان الله ارسل مخلّصنا يسوع المسيح الى العالم ليباركنا بردّ كلِّ واحدٍ منا عن شرورهِ[1] ولذلك لما غفر المسيح الخطيئة قال لمن غفر لهُ "اذهب ولا تخطئ"

(١) اع ٣: ٢٦

ايضًا لئلاَّ يكون لك اشرٌ "(١)

ثم قاموا من شِركي ومرُّوا على جزائر السِّيرِين اللواتي كنَّ يغنِّينَ فيطربنَ من يسمعهنَّ فيأتي لاستماعهنَّ فيقتلنهُ وعلى الصخرة الشماء سِلاَّ وعلى الدُّردور الشهير خاريبدِس والصخور التائهة وترينكرِيا (سيسيليا) وجزيرة الشمس وجاءوا الى جزيرة الفياشيين التي كان ملكها ألسِينُوس . فوجدوا هناك رجالاً من الذين ارسلهم الملك ايتس في السفن لاسترجاع ابنتهِ ميديا فحاول هؤلاء ان يغرُوا الملك على ردّها اليهم فقال لهم الملك اني لا استطيع ان افعل ذلك لانها قد صارت زوجةً لياسون فخافوا ان يرجعوا الى ملكهم فاقاموا هناك . ثم سار ياسون ورفاقهُ في طريقهم فنزلت عليهم انواء عديدة وثارت عواصف شديدة قذفتهم الى الرمال التي على سواحل افريقية فقاسوا هناك مشقَّات يعجز عن ملاقاتها فحول الرجال وكانوا يجرُّون السفينة من البحر الى البرّ ويصبرون حتى تسكن الرياح وتهدأ الامواج ثم يردّونها الى الماء ويسافرون لان سفن تلك الايام لم تكن تحتمل العواصف والانواء كالبواخر في ايامنا هذه. وما زالوا يسافرون كذلك حتى وصلوا الى كريت وكان فيها مارد من النحاس يُقال لهُ تالُس فمنعهم من النزول على البر فقتلتهُ

(١) يو ١٤:٥

ميديا بسحرها وساروا من مكان الى آخر حتى وصلوا الى خليج باكاسوس ومدينة ايولكوس التي كانوا قاصدين اليها

وكان اهل المدينة قد قطعوا الرجاء من رجوعهم منذ زمان طويل وبكوهم وناحوا عليهم زماناً فلما سمعوا برجوعهم سالمين وباستخلاصهم السلخ الذهبي فرحوا فرحاً عظيماً وخرج آباؤهم وامهاتهم لملاقاتهم فلم يعرفوهم لِمَا اعتراهم من الضعف والهزال بسبب الشدائد والاهوال التي لاقوها في سفرهم. وارتفع الضجيج في المدينة وعلَت اصوات الفرح وذُبحت الذبائح الكثيرة واُوقدت الاطياب الثمينة على مذابح الآلهة. ورجع الابطال مع آبائهم واما ياسون فرجع وحده ُ لان ابويهِ ماتا قبل رجوعهِ

ثم طلب المملكة من بيلياس عمهِ فاخلف بيلياس وعدهُ وابى ان يردها اليهِ فقال ياسون لزوجتهِ ميديا ان عمي قد أَبى ان يردَّ لي المملكة فاقتليهِ بسحركِ فصار ياسون من طالبي الشرّ لانهُ وافق عليهِ زماناً طويلاً . فقالت لهُ ميديا سمعاً وطاعةً لانها كانت لا تمتنع عن عملِ الشرّ. وتظاهرت بالخصام معهُ والتجأَت الى الملك بيلياس فترحب بنتاهُ بها وقابلتاها بالاكرام وصدَّقتا قولها واتخذتاها صديقة محبّة . فلما اقامت عندهما مدَّة اخبرتهما بسحرها وقالت لهما اني اردُّ الشيخ شاباً فقالتا لها أَلا تردّين ابانا

الشيخ الى الشباب فتكمّلي حظّنا ونعيمنا فصمتت هُنَيهةً كأنها لا تريد الجواب ثم قالت لهما بلى. وارادت ان تؤكد لهما صدق قولها واقتدارها على ذلك فذبحت كبشاً من الغنم ووضعتهُ في قدرٍ كبيرةٍ ووضعت معهُ بعض العقاقير السحرية واوقدت النار تحتهُ فسمعتا صوتاً خفياً كغثاء الغنم ثم خدعتهما بشعوذتها فخالتا كأنَّ حملاً وثب من القدر فتأكّدتا حينئذٍ صدق قولها لان اهل تلك الايام كانوا يُخدَعون بكلام المشعوذين كما يُخدَع كثيرون من البسطاء اليوم فيصدّقون اشياء كثيرةً يضحك منها العقلاء لعلمهم انَّ المشعوذين يعملونها في الظاهر بالخفّة والحيلة لا في الحقيقة. فشدّدتا عليها الطلب ان تردَّ اباهما شاباً. فوضعت القدر على النار ووضعت فيها العقاقير التي سبقت الاشارة اليها ومزجت شراب الملك ببعض العقاقير فشربهُ هو وحرّاسهُ فناموا نوماً عميقاً. فأدخلت ابنتيهِ الى غرفتهِ وقالت لهما استلاّ سيفيكما واضربا اباكما ولا تتوانيا لنخرج دمهُ العتيق من بدنهِ فاملأهُ دماً جديداً. فخافتا اولاً ان تمدّا ايديهما الى ابيهما لئلاَّ يموت ثم حوّلتا وجهيهما عنهُ لكيلا تَرياهُ وضربتاهُ فجرحتاهُ فاستيقظ موجعاً ومدَّ يديهِ قائلاً ماذا تفعلان يا ابنتيَّ ولماذا تقتلان اباكما فخارت عند ذلك عزائمهما وكفّتا عن الضرب وقد كساهما الحزن والخوف

فتناولت ميديا السيف ونحرتهُ بهِ وفرَّت هاربةً

ويُحكى في الخرافات القديمة انها ركبت تنانين ذات اجنحة وطارت ونزلت في كورنثوس ويقال في خرافات اقرب من تلك الى الصحة ان أكاستُوس بن پيلياس ملك عوضاً عن ابيهِ وطرد ياسون وميديا من ايولكوس ففرَّا الى كورنثوس وعاشا هناك زماناً في نعيم ورغد عيش . ولكن النعيم لا يدوم لرجلٍ يعيش مع امرأةٍ شريرة كميديا ولا السعادة تبقى لامرأة قلبها مملوءٌ شرًّا واثماً . فان ياسون هوي فتاةً اسمها كرُوسا بنت كريون فترك ميديا وتزوَّج بها كما كان قد ترك هپسيبيلي لاجل ميديا . فجلب على نفسهِ الشرَّ بهذا العمل الاثيم لان ميديا لمَّا علمت بذلك حنقت عليهِ فقتلت الابنين اللذين ولدتهما لهُ وبعثت ثوباً مسموماً الى كروسا فماتت منهُ معذَّبةً عذاباً اليماً وسقت ياسون كأساً أمرَّ من العلقم . فغلب عليهِ الحزن والغيظ فقتل نفسهُ . وكان ذلك خاتمة حياة من فاق الابطال شهرةً وسما على الاقران باستخلاص السلخ الذهبيّ والله يعلم ما جال في ضميرهِ من الافكار عند قتل ابنيهِ وموت امرأتهِ عن قتل ابسرتوس اخي ميديا الشريرة بقصد خلاصهِ من يد ابيها وقتل پيلياس الملك بقصد حصولهِ على المُلك بعدهُ

ان الذي يطّلع على سيرة ياسون لا ينتظر لهُ عاقبةً احسن من هذه العاقبة وإن تكن سيئة لانهُ لا يؤمَّل ان تكون عاقبتهُ احسن من هذه وزوجتهُ ميديا الشريرة ولم يكن يحقُّ لهُ ان يتأمل عاقبةً احسن منها وقد حمل ميديا بنفسهِ على عمل الشرّ . وكما كان في ايام اليونان هكذا يكون في ايامنا وفي ايام كل من يأتي بعدنا اعني ان من يعمل الشرَّ ينال اللعنة والعاقبة السيئة ولا فرق في ذلك سواءٌ كان قصدهُ من عمل الشرّ فعل الخير او فعل الشرّ اذ لا يجوز لنا ان "نفعل السيئات لكي تأتي الخيرات" (١) كما يقول الكتاب المقدّس ولذلك فياسون لما استعان على استخلاص السلخ الذهبي بمكر ميديا القاسية الشريرة عمل الشرّ وعُوقب عليهِ مع ان استخلاص السلخ الذهبي كان عملاً ممدوحاً . ولنتعلم ايضاً ان الشجاعة والاقدام وعلوّ الهمّة والجدّ والكدّ من الصفات الممدوحة الصالحة ولكن اذا استخدمت معها الوسائط الشريرة لقضاء الاغراض وبلوغ المآرب كان ذلك الاستخدام شرّاً لا محالة ولا يبرَّر مهما كانت تلك الاغراض والمآرب حسنةً ومفيدةً في ذاتها . فلنكُن من اهل الصدق والعدالة والاستقامة فتكون احوالنا جيدة . فان لم نحصل معها على كل ما نريد

---

(١) رو ٣: ٨

الحصول عليهِ نكون قد فعلنا الاحسن على الاقل اذ سلامة الضمير وصفاء النية احسن من كل ما يُعتبَر في العالم من امور الفخر والمجد لان "الانسان ينظر الى العينين واما الرب فانهُ ينظر الى القلب"(١) والرب يحب ان ينظر في القلب الحقَّ والبرَّ فقد قال داود الملك "ها قد سُررتَ بالحق في الباطن"(٢). فليكن الحقُّ في قلوبنا فنكون صادقين في اقوالنا واعمالنا ونصير صالحين وان لم نَصِر عظماء والصلاح افضل من العظمة والانسان الصالح العظيم افضل من كل انسان ولا يكون الانسان عظيماً حقاً ان لم يكن صالحاً. فان كان الانسان صالحاً ولم يكن لهُ كنز على الارض فلهُ كنز في السماء حيث لا يفسد سوسٌ ولا صدأٌ وحيث لا ينقب سارقون ولا يسرقون"(٣)

(١) اصم ١٦: ٧ (٢) مز ٥١: ٦ (٣) مت ٦: ١

الفصل الثاني

في اتعاب هرقل وفعاله



هرقل والاسد النيمي

ان هِرَقْل كان ابعد الابطال صيتاً واعظمهم فعالاً ونحن نورد هنا كثيراً مما ذكرهُ الشعراءُ من فعاله . وقبل ذلك نقول ان امرهُ في الحقيقة مجهول فقد ظنَّ بعض العلماء انهُ شخصٌ وهميٌّ لم يكن لهُ وجود ولكن يكنى بهِ وبفعالهِ عن الشمس في مسيرها حول الارض . وظنَّ آخرون انهُ اسمٌ سُمّي بهِ كثيرون من الابطال ثم نُسِبت فعالهم جميعاً لمسمًّى واحد بهذا الاسم على تمادي الاجيال . وظنَّ آخرون انهُ كان لهذا الاسم مسمًّى حقيقيٌّ فعل فعالاً عظيمة كثيرة ثم بالغ فيها الشعراء فزادوها عظمةً وغرابةً حتى صارت على ما هي عليهِ الآن

وروى الشعراء انهُ ابن زفس رئيس آلهة اليونانيين وان يونو زوجة زفس بعثت حيّتين لتقتلاهُ وهو طفل لان اليونانيين وغيرهم كانوا يتصوَّرون آلهتهم مثلهم فينسبون اليها البغض والحقد والمكر والغش واوصافاً أُخرى ذميمة فانظر الفرق بينها وبين ابينا الذي في السموات المحبّ الشفوق المستكمل لكل فضيلة وكل صفةٍ صالحةٍ . فلما التفت الحيّتان حول سريرهِ استيقظ وقبض عليهما قبضاً شديداً حتى خنقهما فامتاز منذ طفولتهِ على اقرانهِ وقال كل من رأى فعلهُ هذا ان حياة هذا الطفل لم تنجُ من الحيّتين الاَّ لانهُ قد قدّر لهُ ان يفعل فعالاً يعجز عنها غيرهُ . والظاهر انهم جعلوهُ ابن زفس لقوّتهِ وشجاعتهِ وعظمة افعالهِ حتى كأنهُ لم يولَد من بشر ولم يرث ضعفاً . ولكنهُ كان مع ذلك كلهِ عبداً ليُورِسثِيوس ملك مِسِيني يعمل ما يأمرهُ بهِ حتى اتمّ الاعمال العظيمة التي اشتهر بها . ولعلَّ يُورِسثيُوس خاف بأسهُ وبطشهُ وحذر من فتكهِ فكان يكلفهُ عمل تلك الاعمال الشاقة آملاً انهُ يهلك في عملها فيأمن شرّهُ فانقلبت تدابيرهُ خيراً على هرقل لانها عظّمت اسمهُ وخلّدت صيتهُ مدى الايام

ولولا الاتعاب والمشقات لم يرَ هرقل خيراً بل كان عاش عيشة اللهو والبطالة وندم حين لا تنفعهُ الندامة . يُروى انهُ كان

ذات يوم جالساً يفكر في اتعابهِ وسوء معيشتهِ في خدمة يورسثيوس الصارم فرأى فتاتين جميلتين مقبلتين عليهِ . فتقدَّمت احداها وقالت لهُ ان سمعتَ لي وقبلتَ نصيحتي واتبعتَ مشورتي لا ترى في حياتك تعباً ولا تحمل مشقةً بل تاكل المآكل الشهية وتشرب الخمور الطيبة وتجلس على الطنافس النفيسة الفاخرة وتسمع الالحان الشجية المطربة ولا تجد وجعاً ولا كدراً ولا غماً ولا هماً بل تقضي ايامك في اجتناء الملذَّات وشرب كؤوس المسرَّات

فلما فرغت من كلامها لم يصدّقها هرقل وسألها عن اسمها لانها لم تكن مؤدَّبة في حديثها ولا محتشمة في حركاتها واشاراتها بل كانت الجرأة والوقاحة في كلامها وعلامات الخفة والنزق على وجهها

فقالت لهُ ان محبيَّ يدعونني السعادة ومبغضيَّ يدعونني الرذيلة وكانت الفتاة الثانية طويلة القامة هيفاء القدّ جميلة الطلعة مؤدبة الحديث محتشمة المنظر عليها ثوب ابيض كالثلج النقيّ فتقدمت وقالت

يا هرقل اني اعرفك واعرف والديك والاتعاب التي قد قُدِّرت عليك ولي الامل الوطيد انك اذا قبلتَ نصيحتي وسرتَ في الطريق التي ادلُّك عليها تنال الكرامة وتنطلق الالسنة في



هِرَقل والفضيلة والرذيلة

مدحك ووصف فعالك . واني لا اغرُّك بالمواعيد الفارغة بل اخبرك الحقَّ حسب السنن الالهية فاعلم ان الآلهة لا تعطي البشر شيئاً من الخير والكرامة بلا تعب فاذا رُمت رضى الآلهة عنك فاعبدها مجتهداً واذا رُمتَ ان يكون لك محبّون مخلصون فدونك والاعمال الصالحة وان رُمت الكرامة من بني وطنك والاعتبار من الناس فاسعَ في طلبها. لان الزارع لا يحصد ان لم يحرث ويزرع اولاً وصاحب المواشي لا تكثر مواشيهِ ان لم يعتنِ بتكثيرها

فاعترضتها الاولى في الكلام وقالت انظر يا هرقل ما اعسر طريق السعادة التي تدلُّك رفيقتي عليها وما اسهل الطريق التي ادلُّك انا عليها

فاخذت رفيقتها الأَنفة من وقاحتها واصرارها على اباطيلها فقالت لها افٍ لكِ ايُّ خيرٍ عندكِ وأَيَّة لذَّةٍ تعرفين وانتِ تأبين ان تعملي وتتعبي . فانكِ انما تهيجين في نفسكِ القابليَّة بالاطعمة الطيّبة والاشربة اللذيذة لتأكلي وانتِ غير جائعة وتشربي وانتِ غير عطشى . وتنامين على الاسرَّة الوثيرة الرخفة لا طلباً للراحة بل اجابةً لداعي الكسل وتقضين ليلكِ في الشرّ ونهاركِ في النوم . أَلا ترين ان الآلهة قد طردتكِ من حضرتها وانتِ من اولادها والناس الصالحين يحتقرونكِ . ومن هم الذين

يتبعونكِ. أَليسوا هم الذين تصير اجسادهم ضعيفة في سن الشباب وعقولهم واهنة واثوابهم وابدانهم رثَّة قذرة في سن الشيخوخة. امَّا انا فاني اسكن مع الآلهة والناس الصالحين المكرَّمين فلا يعملون عملاً صالحًا بدوني ولا يقابلونني بغير الكرامة والوقار. وانا معينتهم الامينة في السلم والحرب وكل الواجبات والاعمال. والذين يحبونني يعيشون عيشة اللذَّات الصحيحة الدائمة لانهم يكونون اقوياء فيتعبون ويجدون الراحة لذيذة والطعام شهيًا واحداثهم يسرُّون بمدح شيوخهم وشيوخهم يسرُّون باكرام احداثهم ويحوزون رضى الآلهة عنهم وحب اصدقائهم لهم وافتخار اوطانهم بهم ومدح الناس لذكرهم ما توالت الايام. فتحمَّل يا هرقل المتاعب والمصاعب حبًا بالحصول على هذه السعادة الحقيقيَّة

فلما قالت ذلك صمتت رفيقتها عياء واطرقت خجلاً مع انها كانت تدَّعي كذبًا ان اسمها السعادة فعزم هرقل حينئذٍ على اتباع الفضيلة لانهُ علم ان كلامها هو الصحيح وان الطريق المؤدية الى السعادة هي التي يسير فيها الانسان الصالح والعامل للصلاح ولو افضى ذلك بهِ الى الشدائد والضيقات احيانًا كثيرة. وهذه الطريق هي طريقنا نحن ايضًا ونحن ادرى بها من هرقل في زمانهِ لانهُ لم يكن يعرف الاَّ آلهة الكاذبة واما نحن فنعرف الاله الحيَّ الحقيقي

الذي مخافتهُ رأس الحكمة (١). ونعلم طريق الحق والحياة والصلاح والسعادة التي تجلب لنا البركات في هذه الحياة والافراح الدائمة في الحياة الآتية والمسيح يدلّنا عليها ويطالب منا ان نسير فيها بحبنا لهُ واتباعنا اياهُ. وقد وعدنا الله بارسال روحهِ القدّوس لمساعدة الذين يطلبون المساعدة منهُ في سيرهم في هذه الطريق. فنعمّا كل من عاش عيشة الفضيلة لانها هي العيشة الصحيحة المكرَّمة المطلوبة "طُرُقها طُرُق نِعَم وكل مسالكها سلام" (٢)

وجعل هرقل همّهُ اتمام الاعمال التي يأمرهُ بها ملكهُ الصارم القاسي والقيام بالاحمال التي يضعها عليهِ فصار قويًا مشتهرًا مكرَّمًا من الجميع كما قالت لهُ الفضيلة لمَّا أتت هي والرذيلة تخيّرانهِ. وكان كلّما زاد الملك عليهِ الاتعاب صعوبةً ومشقةً يزيدهُ تغلّبهُ عليها عظمةً وشهرةً كما هو شأن كل انسانٍ لا يتراخى للصعوبات والشدائد حتى تقهرهُ بل يشدّد عزائمهُ ويقاومها حتى يقهرها

واوّل اتعاب هرقل وفعالهِ قتلهُ للاسد النيمي وكان مربض هذا الاسد في وادي نيميا حيث أُقيمت الالعاب النيمية بعد ذلك وكان يفتك بالناس والمواشي فتكًا ذريعًا ويُقال انهُ كان من وِلْد تيفون احد المردة الذين عاشوا في قديم الزمان وكان

(١) مز ١١١: ١٠ (٢) ام ٣: ١٧

كبير الجثة مخيف الطلعة شديد القوّة زائد الشراسة لم يكن اسدٌ اشدُّ منهُ توحشًا ولا اذرع فتكًا . فأمر الملكُ هرقلَ ان يقتلهُ ويأتيهُ بجلدهِ علامةً على انهُ قتلهُ فاخذ هرقل قوسهُ وسهامهُ ونبُّوتهُ وقصد الاسد في عرينهِ بين المغر المنفردة التي كان يكمن فيها فلقيهُ في بعضها فرماهُ بالسهام فلم تقتلهُ فضربهُ بالنبُّوت ضربًا عنيفًا فلم يقتلهُ فالقى النبُّوت على جانب وانقضَّ عليهِ وقبض على عنقهِ وخنقهُ وحمل جثتهُ واتى بها الى الملك علامةً على انهُ قتلهُ . ثم سلخ جلدهُ عنهُ وجعل يلتفُّ بهِ علامةً على نصرتهِ ولذلك قلما تجد صورةً لهرقل الآن وترى الجلد مصوَّرًا فيها إمّا ملقًى على كتفيهِ او على شجرة او صخرة بالقرب منهُ

ثم بعثهُ الملك الى بلاد لرْنا ليقتل حية ماء هناك ويُقال انها كانت من اولاد المارد تيفون ايضًا وانهُ كان لها تسعة رؤُوس احدها خالدٌ لا يموت وكانت تضرُّ باهل تلك البلاد ضررًا عظيمًا فقصدها هرقل بنبُّوتهِ ولما التقى بها جعل يضربها على رؤُوسها فلا يرمي رأسًا حتى ينبت مكانهُ اثنان. فقرن الحكمة بالقوّة والشجاعة ودعا ابن اخيهِ أيُولاوس رفيقهُ الامين فجعل يحرق الرأس حال وقوعهِ تحت ضربات هرقل فلا يعود ينبت ثم دفن الرأس الخالد تحت صخرة كبيرة. وذلك يعلّمنا ان نقرن

الحكمة بالقوَّة اذا شئنا ان نتغلَّب على الشدائد . والمظنون ان تفسير هذه القصة هوان سباخ لرنا كان كثير الافاعي السامَّة فكانوا لا يتلفون اوكارها حتى تجدَّد غيرها فنزح هرقل ماء تلك الارض واحرق نباتها فطرد الافاعي منها واهلك اكثرها . فان صحَّ هذا التفسير يكون هرقل قد عمل مأثرة يستحقّ عليها المدح والكرامة

ومن جملة افعالهِ مسكهُ للوعل الذي كانت اظلافهُ من النحاس وقرناهُ من الذهب وسرعتهُ في الركض تفوق سرعة كل ما سواهُ حتى لم يستطع احدٌ على مسكهِ . فامر الملكُ هرقلَ ان يأتيهُ بهِ حيًّا فقضى سنةً بتمامها في مطاردتهِ والركض وراءهُ في السهول والاودية والجبال ولم يمسكهُ ولكنهُ آلى على نفسهِ ان لا يرجع الى الملك الَّا بهِ كما هو الواجب على كل من يريد قهر المصاعب فظلَّ يطاردهُ ويرميهِ بالسهام حتى جرحهُ فحملهُ على كتفهِ وأتى بهِ الى الملك

ومن افعالهِ ايضًا انهُ طارد خنزيرًا بريًّا شرسًا جدًّا على الثلوج حتى اعيا الخنزير من الركض فامسكهُ في شبكة . ويستدَلُّ من هذه القصص واشباهها على ان بلاد اليونان كانت في تلك الايام كثيرة الضواري والقفار وان هرقل قضى ايامهُ في قتل الضواري وابعادها عن مساكن البشر ليعيشوا آمنين مطمئنين ويحوّلوا

القفار الى اراضٍ محروثة وحقول مزروعة وجنّات غنّاء ومنازل مسكونة . وعليهِ فيكون قد قضى حياتهُ في عمل الخير

ومن اعظم افعالهِ العجيبة تنظيف حظائر البقر التي لأُوجياس ملك ايليس وكان يقيم فيها ثلاثة آلاف ثور ولم تُنظَّف مدة ثلاثين سنة فامرهُ الملك يورستيوس ان ينظفها في يومٍ واحدٍ فذهب الى اوجياس الملك وقال لهُ اني انظفها في يومٍ واحدٍ ان اعطيتني عُشر البقر التي فيها فقبل الملك اوجياس بذلك. وحوَّل هرقل على الحظائر نهرَي ألفِيوس و پينيوس فجرف الماء كل ما فيها من الاوخام وتركها نظيفةً . ولما علم اوجياس ان يورستيوس الملك امر هرقل بتنظيفها ابى ان يعطيهُ عُشر البقر واخلف وعدهُ فحُرِم هرقل النصيبَ الذي كان يحقُّ لهُ لقاء اتعابهِ كما يُحرَم كثيرون من العقلاء والفضلاء نصيبهم في هذا العالم

ومن افعالهِ ايضاً قتلهُ الطيور الستِمفاليَّة وكان لهذه الطيور فيما زعموا مخالب ومناقير من النحاس وكانت ترمي بريشها كالسهام وتاكل الرجال والنساء وتسكن قرب بحيرة تُسمَّى ستِمفاليس . فامر الملكُ هرقلَ ان يقتلها ويكفي الناس شرَّها فلبَّاهُ طائعاً وذهب لقتالها عازماً ان لا يرجع الاَّ وقد أَبادها فاعطتهُ مِنَرْفا الاهة الحكمة اداةً يخشخش بها حتى اذا سمعت الطيور الخشخشة

خافت وطارت فلما دنا هرقل منها جعل يخشخش لها فتطير فيرميها بسهام مسمومة بصفراء الحيَّة المائيَّة التي كان قد قتلها كما سبق. ولعلَّ تفسير هذه الحكاية ان الطيور لصوص كانت تسطو على تلك الارض فتنهب ما فيها وتقلق اهليها فقاتلهم هرقل فقهرهم بقوَّتهِ وحسن تدبيرهِ

وقد رووا عنهُ رواياتٍ أُخرى كثيرة تشهد كلها انهُ انما فاز ونجح بالاقدام والثبات وان الاقدام والثبات يغلبان الصعوبات في كل زمانٍ ومكان فلنتعلَّم نحن ان نفعل كما كان هرقل يفعل في زمانهِ فانهُ لم يكن يكلُّ ولا يرضى بالفشل بل كان اذا لم ينل مأربهُ بواسطةٍ يحاول نيلهُ بواسطة أُخرى حتى ينالهُ وان لم ينجح بعد المحاولة مرَّة يبقى زمانًا يترقَّب الفرص المناسبة حتى اذا سنحت لهُ فرصةٌ اغتنمها للحال وفاز بالمطلوب

يُحكى ان الملك يورسثيوس امرهُ يومًا ان يأتيهُ بالتفَّاح الذهبي الذي ينبت في الجنَّات المسمَّاة هسپِرِيدِس ولم يكن احدٌ يعلم اين مكان تلك الجنَّات ولا من يقتنيها بل كان كل المعلوم عنها انها جناتٌ بعيدة جدًّا الى الغرب من بلاد اليونان . فخرج هرقل من بلادهِ يسأل عنها وعن مكانها ولاقى في طريقهِ الاهوال والشدائد حتى وصل الى الجزيرة التي كانت فيها فوجد ان الجنَّات مسوَّرة

باسوار ولها ابواب من النحاس يحرسها تنين هائل لا ينام البتة فهجم على التنين فقتلهُ ودخلها وقطف من تفاحها وحملهُ الى الملك . فحصل على مطلوبهِ بالهمَّة والثبات وهكذا نفوز نحن ايضاً بمطلوبنا اذا شدَّدنا الهمَّة وثبتنا على تحصيلهِ . قيل ان صبياً سأل امهُ سؤالاً فقالت لهُ اقرأ تعرف جواب السؤال فعزم ان يقرأ ويعرف الجواب بنفسهِ وكان يفعل كذلك دائمًا حتى صار عالمًا عظيماً فلو قال اني لا اعرف اين اجد جواب سؤالي ولا احبُّ ان اشغل بالي بالقراءة واستمرَّ على ذلك لما صار عالمًا طول ايامهِ. ولو قال هرقل اني لا اقدر ان آتي بالتفاح الذهبي لاني لا اعلم اين مكانهُ ما اشتهر كما اشتهر ولكنهُ ذهب وفتش حتى اهتدى الى المكان المطلوب واتى بالتفاح بالثبات والشجاعة والاقدام

والمرجح ان كثيرًا من الروايات التي تُروَى عن هرقل كقتلهِ الطيور الستمفالية مثلاً رُويت تذكارًا لاعمالهِ واعمال غيرهِ من اهل الشجاعة والنخوة الذين كانوا يقومون لتخليص بلادهم من الظلاَّم الطغاة الذين يتعدَّون على الناس ويسلبونهم اموالهم وكان هؤلاء الطغاة من اقسى الناس واقلهم شفقةً كبوسيريس ملك مصر فانهُ كان يذبح الغرباء الذين يأتون الى بلادهِ ويقرّبهم على مذابح آلهتهِ وديوميديس ملك ثراقيا الشرير كان يطعم خيلهُ لحم البشر .

وهذان قتلها هرقل ودفع شرَّهما عن الناس . وخلَّص ايضاً بروميثيوس من أليم العذاب . وتفصيل ذلك ان بروميثيوس اراد ان يكون من المحسنين للبشر فسخط زفس رئيس الآلهة عليهِ وقيَّدهُ الى صخرٍ وتركهُ لا يستطيع حراكاً . والغريب في امر هؤلاء اليونانيين انهم كانوا يجعلون رئيس آلهتهم يسخط على البشر ويعاقبهم لانهم يقصدون عمل الخير والاحسان الى اخوتهم فاين آلهتهم من الهنا الحي الحقيقي الذي يقول لنا المسيح عنهُ انهُ يكون منعماً حتى على غير الشاكرين والاشرار [1] . واغرب من ذلك ان زفساً لم يكتفِ بقبح معاملتهِ بل زادها قباحةً وقساوةً فبعث على ذلك المسكين نسراً يمزّق كبدهُ وهو مقيَّد عاجز عن الدفاع وامسك عنهُ الموت ليزيدهُ عذاباً فكان لا يمزّق لهُ النسر كبداً حتى تنبت اخرى مكانها فيأتي النسر في اليوم التالي فيمزّقها ويأكلها فتنبت اخرى في الليل . وبقي بروميثيوس يُعذَّب ذلك العذاب اشهراً وسنين والشمس تحرقهُ تارةً والبرد يبراهُ طوراً حتى جاء هرقل فقتل النسر وقطَّع قيد بروميثيوس واطلقهُ من اسرهِ

هذا وقد تقدَّم الكلام على ان هذه القصص واشباهها لم تجرِ حقيقةً كما رواها الرواة ولكنها لا تخلو من الصحة. وعلى كلا الحالين

---

(١) لو ٦: ٣٥

فانها تعلّمنا اشياء كثيرة يهمّنا معرفتها. وقد رووا عن هرقل اموراً عديدة غير مستحسنة وان كان اكثر ما رووهُ عنهُ يدلّ على شجاعتهِ وعلوّ همّتهِ وحذقهِ وثباتهِ لان هذهِ الصفات الحميدة ليست هي كل ما يلزم لنا في هذه الحياة بل لا بدَّ لنا معها من الطهارة والصدق والصلاح وخوف الله ومحبتهِ والرغبة في عمل وصاياهُ. فاذا حصلنا على هذه الفضائل السامية فلنفعل كما فعل هرقل ولنسعَ في تتميم واجباتنا بالامانة والاستقامة غير مكترثين للاتعاب ولا مبالين بالاخطار والشدائد ان كانت واجباتنا محفوظةً بها ولا سيما ان كانت الاعمال التي نعملها تستحق المجاهدة والمخاطرة. فاذا فعلنا ذلك كانت حياتنا حياة نافعة لنا ولغيرنا

ويُروى عن موت هرقل رواية محزنةٌ جدًّا وهي انهُ كان يوماً يعبر نهراً مع امرأتهِ ديجانيرا فخاض الماء اولاً وعبر وخاضت امرأتهُ وراءهُ فحاول المارد نسُّوس ان يحملها ويفرَّ بها فصرخت فسمعها هرقل ورمى المارد بسهمٍ فقتلهُ. فنزع المارد ثوبهُ الملطخ بدمائهِ وهو يموت وقال لديجانيرا خذي هذا الثوب فيحبكِ هرقل دائماً. ثم ذهب هرقل الى بلادٍ أُخرى وقاتل يوريتوس وأسر ابنتهُ إِيُولا. فخافت ديجانيرا امرأتهُ انهُ يهوى إِيُولا ويترك حبها فبعثت اليهِ ثوب المارد ولم تكن تعلم انهُ مسموم ولا كان هرقل يعلم ذلك فلبسهُ

وللحال صرخ متألماً وسرى السمُّ في بدنهِ حتى اطار عقلهُ من الالم فجعل يحاول نزع الثوب عنهُ فكان لحمهُ يتمزّق مع الثوب. ولما لم يستطع على تلك الآلام صبرًا طلب ان يجمعوا الحطب كومةً ويعطوهُ اللهيب ثم صبر حتى اضطرمت النار فالقى عليها جلد الاسد النيمي واضطجع على الجلد ليحترق فنزلت عليهِ سحابةٌ من السماء وحملتهُ الى منازل الآلهة



قنطورس

الفصل الثالث

في مخاطر ثيسيوس



ثيسيوس يكشف السيف ونعلي الذهب

ومن الابطال الذين بعض اخبارهم صحيح وبعضها كاذب ثيسيوس ويقال انهُ قصد ان يحذو حذوَ هرقل ويقتدي بهِ في فعالهِ فعمل اعمالاً عظيمة لخير غيرهِ لا لخير نفسهِ فساوى هرقل في كثيرٍ منها

وثيسيوس هذا هو ابن ايجيوس ملك اثينا وإيثرا بنت بِثيوس ملك تريزين وكان ابوهُ قد هجر امهُ قبل ولادتهِ فولد ثيسيوس وشبَّ بعناية امهِ وصار من الابطال المعدودين ولم يرَهُ ابوهُ. فلما صار عمرهُ سبع عشرة سنة اخذتهُ امهُ الى غابٍ وقالت لهُ ان يرفع بلاطةً هناك فحاول اولاً رفعها فلم يستطع ثم بذل كلَّ قوتهِ فرفعها ووجد تحتها سيفًا ونعلين من الذهب ولم يكن يعلم عنها شيئًا

فقالت لهُ امهُ ان اباك وضع هذه الاشياء هنا قبل ان هجرني فخذها واذهب الى اثينا وانظر ماذا تفعل هناك . واوصتهُ ان يعتمد على عقلهِ ويكتشف ما يناسبهُ وما لا يناسبهُ فذهب وحدهُ الى بلاد غريبة قاصداً اباهُ الذي لم يكن قد رآهُ

وكانت اثينا لا تبعد عنهُ اكثر من خمسين ميلاً في البحر وكانت الطريق اليها امينة لان مينوس ملك كريت قتل القرصان الذين كانوا يطوفون في البحر ويحرقون السفن ويبيعون النوتية عبيداً فلم يشأ ثيسيوس ان يذهب الى اثينا بحراً بل اختار ان يذهب اليها براً ليقتحم الاخطار ويلقى قطّاع الطريق الذين كانوا يكمنون هناك لسلب اموال الناس وقتلهم وعمل الشرّ وظلم الغير لانهُ كان يعلم شرّهم وكثرة الاذى الذي يصدر منهم فاراد ان ينهي قبائحهم ويكفي الناس شرّهم كما كان هرقل يفعل باللصوص والاشرار الذين تعدّوا على الناس في زمانهِ

فلم يبعد في طريقهِ حتى التقى بلصٍ من هولاء اللصوص يُسمّى بَرِيفاتِس ويُلقّب بحامل النبّوت لانهُ كان يحمل نبوتاً ضخماً جداً ويقتل بهِ ابناء السبيل وكان يسكن جبال ابيدوريا ولعظم بطشهِ يخافهُ اهل تلك البلاد كلها . فتقاتل هو وثيسيوس فقوي ثيسيوس عليهِ وقتلهُ واخذ نبوتهُ منهُ وحملهُ عوضاً عنهُ . ثم وصل الى مكان

لصٌّ آخر من مشاهير اولئك اللصوص وكانوا يسمّونهُ سينيس ويلقّبونهُ بجاني الصنوبر لانهُ كان يمسك المسافر ويحني شجرتين من الصنوبر حتى يلتقي رأساهما معاً ثم يربط يدَي المسافر برأس احداهما ورجليهِ برأس الاخرى ويتركهما لترجعا الى وضعهما الأول فتمزّقان جسد ذلك المسكين تمزيقاً . فقاتلهُ ثيسيوس وقهرهُ وربطهُ برأسي شجرتين من الصنوبر فمزّقتاهُ كما كان يمزّق غيرهُ

ثم جاء الى بلاد كروميُون وكان هناك خنزيرة بريّة تُسمّى فِيَا تخرّب البلاد تخريباً . ويظنُّ البعض ان المراد من هذه الخنزيرة امرأةٌ شريرة مسمّاة بذلك الاسم كانت زعيمة لفرقةٍ من اللصوص فلقّبوها بالخنزيرة لكثرة شرّها وفتكها. فقتلها وسار حتى وصل الى حدود مغارا فلقي هناك اللص الشهير شيرون . وكان شيرون هذا يسكن بجانب الطريق على حافّة الصخور التي على شاطىء البحر فاذا رأى احداً آتياً سدَّ الطريق امامهُ بالحجارة حتى لا يستطيع المرور ثم دعاهُ الى منزلهِ ليكون عندهُ ضيفاً وغصبهُ على غسل رجليهِ على صخرة كبيرة مشرفة على البحر. ثم يمدُّ للضيف رجليهِ وبينما الضيف يغسلها يرفسهُ فيسقط عن الصخرة على صخور تحتها فيتحطّم وتأتي سلحفاةٌ فتفترسهُ . فاقبل ثيسيوس عليهِ ولاح النبّوت الذي غنمهُ من پريفاتِس وضربهُ بهِ فحاد من امام الضربة وانقضّ على

ثيسيوس وصارعهُ صراعًا شديدًا حتى اوشكا مرارًا ان يقعا عن الصخرة معًا . واخيرًا قوي ثيسيوس عليهِ وقذفهُ عن الصخرة قذفًا عنيفًا فقام عنها مهشمًا مرتعدًا فالزمهُ ثيسيوس ان يغسل رجليهِ كما كان هو يلزم ضيوفهُ. وفيما هو يغسلها رفسهُ فوقع في البحر وافترستهُ السلحفاة التي كان يقويها بلحوم البشر فأمن الناس شرَّهُ وانفتح لهم السبيل

ثم جاء الى اليوسيس بالقرب من اثينا وكان هناك لصٌّ من كبار اللصوص شهير بالقوَّة والمصارعة اسمهُ شركيون فاذا مرَّ احدٌ في تلك النواحي يطلب منهُ ان يصارعهُ افتخارًا بقوَّتهِ و براعتهِ في المصارعة فاذا خاف منهُ وابى ان يصارعهُ قتلهُ واذا صارعهُ ولم يقدر عليهِ قتلهُ ايضًا فكانت بغيتهُ على كلا الحالين قتل الناس. وكانت القساوة تسوقهُ الى المصارعة كما هي الحال مع كثيرين من الصبيان والرجال ايضًا فانهم يعذّبون الذين هم اضعف منهم ويضايقونهم و يخافون ان يتعرَّضوا للذين هم اقوى منهم. وهذا هو دأب كل جبانٍ دنيء لئيم ولذلك يُعَدُّ هذا اللص لئيمًا جبانًا ولو كان قويًا بارعًا في المصارعة

فلما رأى ثيسيوس ظنَّ انهُ فتى اضعف منهُ كسائر الذين صارعوهُ وقال في بالهِ اني آخذهُ غنيمة باردة واتلذَّذ بأن اسقي

الارض بدمهِ لان الاشرار يسرُّون بسفكِ الدماء ولم يدرِ ان ثيسيوس كان اشدَّ منهُ بأْساً ولو كان احدث سناً وانهُ تعلَّم في مسيني كل الالعاب وابواب المصارعة والطراد واللعب بالسيف والرمح وسائر فنون الفروسية حتى صار من ابرع اهل زمانهِ واقوامهِ. والفرق بين ثيسيوس وبينهُ ان ثيسيوس كان يبذل قوَّتهُ ويستخدم براعتهُ لخير البشر فكان بركةً لهم واما هو فكان يستعمل قوَّتهُ وبراعتهُ في المصارعة لقتل الناس وسلب اموالهم فكان لعنةً عليهم . فلما دنا ثيسيوس منهُ اطبق كلٌّ منهما على رفيقهِ وتصارعا صراعاً شديداً طويلاً حتى كلَّت عزائم شركيون وخارت قواهُ وعلم انهُ لقي قِرناً اشدَّ منهُ بأْساً واكثر تفنُّناً وثباتاً ثم رفعهُ ثيسيوس بيديهِ وضرب بهِ الارض من فوق كتفيهِ فاخمد انفاسهُ وتركهُ جيفةً قد دخل بعضها في بعض

ثم لقي آخِر اولئك اللصوص وكان اسمهُ دامستِس ولقبهُ المدَّاد لانهُ يمدُّ الذين يدخلهم الى مكانهِ بالمكر او بالغصب على فراش لهُ. فان كانوا اقصر من الفراش يربطهم بحبالٍ في ارجلهم ويمدُّهم شاداً بالحبال حتى تنفصل ارجلهم عنهم ويصير طولهم كطول الفراش فيموتون متألمين آلاماً شديدة . وان كانوا اطول من الفراش يقطع ارجلهم حتى يصير طولهم كطول الفراش ايضاً فينزف دمهم حتى

يموتوا ثم يأخذ اموالهم. فهجم ثيسيوس عليهِ مغتاظًا من شرّهِ وقساوة قلبهِ وقتلهُ وجلب شرّهُ على رأسهِ وانقذ الناس من ويلاتهِ

وهذه هي اخلاق الابطال الصادقين لان البطل الحقيقي هو الذي يشفق على الضعيف ويغيث المظلوم ويقاوم المتعدّي فينتصر للحق ويساعد اهل السلام ويقاتل اهل الشرّ والاثم كما فعل ثيسيوس لمّا رأى حال بلادهِ سيئة مضطربة والأمن فيها قليلاً فخاطر بحياتهِ رفعًا للظلم وتشييدًا للأمن والحق والسلام. هذا وعلى كل واحدٍ منا ان يفعل افعالاً مثل افعالهِ ان لم تكن اعسر منها. لا اقول انهُ يجب على كل واحدٍ منّا ان يقاتل اللصوص وينجّي العالم من شرّهم لان الأمن في زماننا اتمّ مما كان في زمان ثيسيوس ولكني اقول ان الاشرار كثيرون اليوم ايضًا وهم يقصدون ان يقودونا الى طريق المعصية والضلال حتى اذا خدعونا وادخلونا الى منازلهم يعذّبوننا اكثر مما كان سينيس ودامَسْتِس يعذّبان الذين يمسكانهم لانهم يقتادوننا الى طرق الخطيئة والموت. فعلينا ان نحاربهم بعقولنا وقلوبنا لا بالعصي والاسلحة لكي لا ينتصروا علينا فاذا اراد الاشرار ان يخدعوكم ايها الاولاد ويقودوكم في سبلهم فقولوا كلاّ اننا لا نذهب معكم واثبتوا على قولكم هذا ولا تبالوا بضحكهم عليكم وسخرهم بكم وكونوا اقوياء شجعاء في سبيل الحق والاستقامة ولو عسر عليكم

ان تكونوا كذلك وتعلّموا من ثيسيوس الشجاعة والثبات في عمل كل امرٍ صالحٍ فان ثيسيوس تعلّم القتال والصِّراع ومارسهما طويلاً قبل ان قاتل اللصوص ودرَّب نفسهُ على الحكمة والشجاعة حتى لا يرتبك ولا يخاف عند ملاقاة الشدائد . فصار اذا لاقى اللصَّ يهجم ولا يهاب الموت ويخاطر بحياتهِ ويجاهد بقوّته ويتعب تعباً عظيماً حتى يقتلهُ ولا يبالي بذلك كلهِ حباً بنصرة الحق واغاثة المظلوم . وهكذا نحن ايضاً يجب ان نجتهد بكل قوّتنا على غلبة طباعنا الشريرة وتكاسلنا وتراخينا وتمرُّدنا ولا نقول اننا قد تغلَّبنا عليها لمجرَّد تصوُّرنا ذلك بل يجب ان نتغلَّب عليها حقيقةً قبل ان نقول ذلك فان ثيسيوس لم يطُف في تلك النواحي ويتصوَّر انهُ قتل لصوصها تصوُّراً بل خاطر بحياتهِ وقاتل اللصوص وقتلهم فعلاً حتى اكتسب محبّة البشر وحاز على مديحهم واكرامهم

وسار ثيسيوس حتى جاء الى قصر ابيهِ ايجيوس ملك اثينا ولم يعرّفهُ بنفسهِ حين وصولهِ فوجد اثينا في حالةٍ يرثى لها من الاهمال وعدم النظام والتعدّي على الشرائع وفساد الناس الاشرار الذين كانوا يفعلون كما يريدون ووجد اباهُ متزوّجاً بميديا الشريرة التي كانت زوجةً لياسون كما مرَّ في سيرتهِ وخبر السلخ الذهبي ووجد اولاد عمِّهِ پلاس يتصرَّفون في بلاط ابيهِ وفي مدينتهِ كما يشاءون

آملين ان يفوزوا بالمُلك بعد موتهِ. فلما راهُ ابوهُ لم يعرفهُ لانهُ لم يرهُ قبل ذلك وكان نسي كل ما جرى لهُ مع ايثرا منذ اكثر من عشرين سنةً . واما ميديا الشريرة فعرفتهُ وخافت ان يتعلَّق بهِ ابوهُ اذا عرف انهُ ابنهُ لِمَا شاع عن بأسهِ وعلوّ همَّتهِ فيترك حبها ويهمل امرها ويحرم ابنها ميدُوس من المُلك فاقنعت اباهُ ان يسمهُ وانقاد ابوهُ الى دسائسها لانهُ كان رجلاً شريرًا لئيمًا ضعيف العقل ساقط الهمَّة يشفق الانسان عليهِ من اجل شهامة ابنهِ وعظم همَّتهِ

فأَولم وليمةً ودعاهُ اليها وحاول ان يسمَّهُ في اثنائها لانهُ خاف منهُ وغار من مديح الناس لهُ وثنائهم عليهِ وبينما كان يفكّر في انسب واسطة لقتلهِ كان ابنهُ يفكّر في انسب واسطة لتعريفهِ اياهُ بنفسهِ فاتفق انهُ لما ناولهُ ابوهُ كأس خمر مسمومة ليسقيهُ اياها فيميتهُ بالسم استلَّ السيف (وكان كسكين الصيد) الذي وجدهُ تحت البلاطة في تريزين وتظاهر كأنَّهُ يريد ان يقطع اللحم بهِ فعرف ابوهُ نصابهُ الذي كان من العاج وبُهت غير عالم ماذا يعمل وتذكَّر حينئذٍ امرأَتهُ ايثرا التي هجرها في تريزين منذ اكثر من عشرين سنة وان البطَل الذي يريد موتهُ هو ابنهُ فرمى الكأس مرتعبًا ولم يسقها لابنهِ . واخرجت ميديا غيومًا بسحرها لمَّا

يئست من نجاح مكيدتها وفرّت ولم يعُد احد يراها ولا يبعد انها ذهبت الى مكان آخر لتفعل شرورها فيهِ

فقال ايجيوس لثيسيوس "من انت ومن اين اتيت؟" فأراهُ ثيسيوس النعلين والسيف وقال لهُ "ان امي ايثرا دلتني على البلاطة فرفعتها ووجدت هذه تحتها فقالت لي اذهب بها الى اثينا علامةً لابيك فيعرفك فاتيت بها اليك". فوقع ابوهُ على عنقهِ وقبّلهُ واحبهُ. ولعلهُ شعر في شيخوختهِ وايام عجزه باحتياجهِ الى من يعزّيهِ ويسليهِ عن همومهِ ويكون محبًا لهُ فيركن اليهِ اكثر مما كان يركن الى زوجتهِ ميديا الشريرة واولاد اخيهِ پلاّس الذين كانوا يتمنون لهُ الموت ليستلموا المملكة بعدهُ. فجمع اهل المدينة واخبرهم قائلاً "ان هذا البطل الشهير الذي سمعتم كلكم بصيتهِ هو ابني" ففرح الشعب فرحًا عظيماً وقالوا "ان هذا من حسن حظنا فانهُ سيكون ملكًا عاقلاً شجاعًا نفتخر بهِ". واما اولاد پلاّس اخي الملك فحنقوا جنًا لما سمعوا ان ثيسيوس يخلف عمّهم وعملوا مكيدةً بها يهلكونهُ ويتملكون على المدينة فانقسموا فرقتين فرقة حملت مع ابيهم على المدينة وفرقة أخرى بقيت كامنةً قربها وقالوا "اننا نهاجم المدينة من مكانين في وقت واحد فنشغل ثيسيوس بقتال الفرقة التي تحمل على جانب من المدينة ونمتلك الجانب الآخر بالفرقة

الكامنة "فجاء رجل يُقال لهُ لِيُوس واخبر ثيسيوس بكل ما فعلوهُ فحمل ثيسيوس على الفرقة الكامنة وبدَّد شملها وسمعت الفرقة الاخرى فخافت وتفرَّقت ايدي سبا ولم تقم لها قائمة بعد ذلك

وكان قبل حدوث هذه الحوادث ان أندرُوجيُوس بن مِينوس ملك كريت اتى الى اثينا ليحضر الالعاب العمومية التي كانت تجري فيها فلعب وفاز على جميع الشبان الذين لعبوا معهُ . ولما رأى ايجيوس الملك ذلك تحركت فيهِ الغيرة والحسد لانهُ كان رجلاً ظالمًا شريرًا لئيماً وكان يعلم انهُ غير اهلٍ بالمُلك فخاف ان يقوى اندروجيوس عليهِ ويأخذ المملكة من يديهِ لانهُ كان يسمع الشعب يمدحونهُ ويتحدَّثون ببأسهِ وقوّتهِ. وكان كاكثر الاشرار جبانًا فخاف ان يقاتل اندروجيوس جهرًا ولذلك قتلهُ سرًّا بمكيدة دبَّرها عليهِ واشاع ان الشبَّان قتلوهُ لانهُ غلبهم في الالعاب ولم يكن احد غيرهُ يعلم بقتلهِ ولا بالمكان الذي قُتل فيهِ فجلب شرًا عظيماً على بلادهِ برداءة عملهِ . وذلك لانهُ لما بلغ مينوس خبر قتل ابنهِ غضب غضبًا شديدًا وجرَّد جيشًا جرَّارًا وهاجم مملكة أتيكا وأنزل فيها الهلاك والبوار وفشا حينئذٍ الوبا فيها واشتدَّ الجوع حتى ضاقت الحيَل باهلها . فطلب ايجيوس من الملك مينوس الصلح وعاهدهُ على ان يقدّم لهُ كل سنة سبعة شبَّانٍ وسبع عذارى فدى ابنهِ

ليضعهم في تيهٍ في كريت فيتيهوا فيهِ ولا يهتدوا الى باب للخروج منهُ حتى يفترسهم وحش نصفهُ بشر ونصفهُ الآخر ثور واسمهُ مِينُوتور وضعهُ مينوس هناك لهذه الغاية

ولما جاء وقت دفع الجزية ووصلت سفينة الملك مينوس بشراعها الاسود الى ميناء اثينا كثر البكاء والنحيب في الشعب وعلت اصوات الملامة والمذمّة على ايجيوس لانهُ جلب ذلك الشرّ عليهم وكانت كل عائلة تخاف ان تقع القرعة على ولدٍ من اولادها ليموت ذلك الموت الفظيع. فحزن ثيسيوس جدًا وتكدَّر من فعل ابيهِ ورثى لحالة شعبهِ فقال في نفسهِ "أَأَكون انا قاتل اللصوص وبشير الامان في البلاد وأَدع شعبي يحزنون ويبكون ويموتون هذا الموت الفظيع ولا انقذهم منهُ . اني اذهب بنفسي واقتل هذا الوحش او اموت في سبيل شعبي"

فلما جاء وقت القاء القرعة تقدَّم وتبرَّع بالذهاب قائلاً "وانا واحدٌ من الجملة" . ففرح الشعب وازدادوا مدحًا لهُ لانهم علموا انهُ اسلم نفسهُ حبًا بهم وبابنائهم وبناتهم واما ابوهُ فاغتمَّ جدًا وخاف ان يفقدهُ في شيخوختهِ فحاول ان يقنعهُ بعدم الذهاب فلم يقتنع واصرَّ على الذهاب وقتْل الوحش او الموت في سبيل اولاد وطنهِ قائلاً "ان الموت خيرٌ لي من ان ارى كل سنة سبعةمن احسن

شبان بلادي وسبعاً من احسن شاباتها يؤخذون في سفينة سوداء القلوع ليأكلهم الوحش المفترس ويموتوا على غير ذنب ولا جريرة"

وكان ابوهُ قد اتفق مع الملك مينوس انهُ اذا قتل احد الاحداث ذلك الوحش بلا سلاح تبطل تلك العادة ويتخلَّص اهل اثينا من دفع الجزية. فلما رأى ابوهُ ان ابنهُ لا يرجع عن عزمهِ تركهُ لذاتهِ فتأهبوا للمسير وقال لهُ ابوهُ " اذا قتلت الوحش ورجعت ظافراً فارفع شراعاً ابيض في السفينة عوضاً عن الشراع الاسود لكي اعلم انك نجوت واتيت سالماً حالما ارى السفينة مقبلةً" فاجابهُ ابنهُ الى ذلك. وسافروا الى كريت بقلوب كئيبة الا ثيسيوس فانهُ كان ينتظر الوصول الى كريت انتظاراً كمن يذهب الى مكانٍ قد طال شوقهُ اليهِ

فلما نزلوا الى كريت ساقوهم الى السجن لكي يرسلوهم من هناك الى التيه واحداً فواحداً فيتيهوا فيهِ حتى يفترسهم الوحش مِينوتور. فطلب ثيسيوس ان يرسلوهُ الى التيه قبل الجميع راجياً ان يقتل الوحش فلا يهلك احدٌ من رفقائهِ. فأذن الملك لهُ في ذلك لانهُ كان لا يهمهُ من يذهب اولاً حاسباً ان الموت سيدرك الكلَّ على حدٍ سوى وقال لثيسيوس ان يستعدَّ للذهاب الى التيه في الغد

وكان للملك مينوس ابنة اسمها أَرْيَدْنا فلما رأَت الاحداث السبعة يقادون من السفينة الى السجن رثت لحال ثيسيوس دون الجميع وشفقت عليهِ لانهُ كان اشجعهم منظرًا واكثرهم مهابةً واحسنهم هيئةً وقالت لا يحلُّ ان شابًا كهذا الشاب يموت افتراسًا. فلما خيَّم الظلام ونام الناس جاءت الى السجن واعطت الحرَّاس مالاً ليسكتوا ويدَعوها تدخل وتكلّم ثيسيوس قليلاً فلم يمنعوها من ذلك فدخلت اليهِ وقالت لهُ "قم وانجُ بنفسك الى بلادك فاني اخلّصك" ولم تعلم انهُ كان قد تبرَّع بالمجيء تبرُّعًا فأَبى واخبرها بما كان قد أتى لاجلهِ. فاعطتهُ كبّةً من الخيوط واوصتهُ ان يربطها بحجر على باب التيه ويحلَّ خيوطها وهو تائهٌ في نواحيهِ المتعرّجة ليهتدي الى بابهِ اذا اراد الخروج منهُ واعطتهُ ايضًا سيفًا لقتل الوحش بهِ. فاحبَّها ثيسيوس على لطفها وشفقتها ومساعدتها لهُ

وفي اليوم التالي ذهب بهِ الحرَّاس الى التيه فكان يسير معهم بقلب لا يهاب الموت كما سار لملاقاة اللصوص الذين قتلهم واخفى السيف وكبّة الخيوط في ثيابهِ فلم يعلم بهما احدٌ. ثم دخل في التيه وكان يجول فيهِ من محلٍّ الى آخر حتى لقي الوحش مينوتور في محلٍّ ضيّق بين الصخور ورأى جسدهُ كجسد انسان ورأسهُ كرأْس ثور فقاتلهُ وامسكهُ بقرنيهِ وذبحهُ بالسيف الذي اعطتهُ اياهُ بنت



ثيسيوس ومينوتور

الملك . ثم امسك كبة الخيوط وسار متبعًا الخيط حتى وصل الى الباب وخرج واخبر الملك بذلك . فخلّص مملكة ابيهِ من دفع تلك الضريبة الثقيلة . وسافرت أَرْيَدْنا معهُ الى جزيرة نَكْسُوس وتزوَّجت بهِ

فهذه هي الرواية التي يرويها الشعراء واما المؤرخون فيقول بعضهم ان المراد من التيه في رواية الشعراء المكان الذي كان الاحداث الاثينويون يُسجَنون فيهِ بالتحفظ التام لكي لا يفرَّ احدٌ منهم وان مينوس اقام العابًا تذكارًا لابنهِ اندروجيوس وكان يعطي اولئك الاحداث عبيدًا للذين يغلبون فيها . وان رجلاً يُقال لهُ تورُوس كان يغلب في اكثر تلك الالعاب ويعامل احداث اثينا شرَّ معاملة وكان مقتدرًا جدًّا في بلاط الملك فغالبهُ ثيسيوس وغلبهُ فسرَّ الملك والشعب سرورًا عظيماً بذلك. ومهما يكن من تأويل هذه الرواية والمراد من الوحش مينوتور فلا شك في ان ثيسيوس فعل افعال اهل النخوة والشرف وخاطر بحياتهِ افتداء لحياة غيرهِ واحبَّ صالح غيرهِ على صالحهِ . وذلك من افضل السجايا والافعال التي يجب علينا ان نتذكَّرها ونعتبرها

ويُروَى عن ثيسيوس وأَرْيَدْنا عروسهِ روايات متناقضة منها انهُ تركها في جزيرة نكسوس كما ترك ابوهُ امهُ ايثرا في تريزين .

ومنها انها مرضت معهُ فانزلها في قبرس لانها لم تستطع السفر وعاد ليعتني بالسفينة فثارت عليهِ رياح عنيفة وساقتهُ من هناك فماتت في قبرس ولم يَعُد يراها في حياتهِ ولعلَّ هذا اقرب الى الصواب من تلك وعسى ان تكون هي الصحيحة لان الاولى تدلُّ على قساوة ولؤم. ويخشى مع ذلك ان يكون لها صحة لان اليونان القدماء كانت معرفتهم بالفضيلة والصلاح قاصرة جدًّا فكانوا يحسبون الشجاعة افضل الفضائل بل الفضائل كلها فاذا كان الانسان شجاعًا فلا بأس ان يكون دنيئًا في امور أُخرى كثيرة وكل ذلك لعدم معرفتهم بشريعة المحبة التي يعلّمنا اياها العهد الجديد. ولكنَّ ما نعهدهُ من حسن سجايا ثيسيوس كعدلهِ وعزَّة نفسهِ وحبهِ لصالح غيرهِ على صالح نفسهِ والمخاطرة بنفسهِ لاجل غيرهِ وشجاعتهِ وسائر صفاتهِ الشريفة يجعلنا نحسن الظن فيهِ ونؤمل ان يكون قد عامل عروسهُ معاملة الكرام الطباع وبكى على موتها لا ان يكون قد هجرها وقسَّى قلبهُ عليها بعد ما احسنت اليهِ ذلك الاحسان

وقرب ثيسيوس ورفقاؤهُ الشبان والعذارى من مدينة اثينا حيث كان ابوهُ ينتظر رجوعهُ يومًا فيومًا فيصعد في غالب الاحيان على قمَّة التل سُونِيُوم على علو ٢٠٠ قدم عن سطح البحر وينتظر قدوم السفينة حتى تغيب الشمس فيرجع الى قصرهِ ويعود

الى المراقبة في اليوم التالي. وكان الرجاء والخوف يتجاذبان فؤادهُ كل تلك المدَّة فيؤمل تارةً ان يرى السفينة مقبلــة والشراع الابيض يشرق من بعيد وابنهُ قادماً ظافراً منصوراً . ويخاف أُخرى ان يكون ابنهُ قد بات فريسة لذلك الوحش الضاري وان تعود السفينة ناشرة الشراع الاسود لتأخذ آخرين من الشبان والعذارى كجاري عادتها . واتفق انهُ لما صارت السفينة بمرأًى من مدينة اثينا اذهل الفرح ركابها عن كل امرٍ فنسي ثيسيوس ان ينشر الشراع الابيض فاقبلت السفينة ناشرة الشراع الاسود حتى رآها الملك وهو يتطلَّع عن رأس التل فانقطع حبل رجائهِ وامتلأ قلبهُ حزنًا وغمًا فألقى بنفسهِ عن رأس الشاهق فسقط وتمزَّق كل ممزَّق . ولما نزل ثيسيوس الى البرّ وفؤادهُ يخفق فرحًا لم يلقَ الاَّ وجوهًا عابسة ولم يسمع الاَّ اصوات الحزن والاسف وأُخبر ان اباهُ قد مات . ففطن حينئذٍ انهُ لم ينشر الشراع الابيض كما كان قد وعد اباهُ فندم على خطائهِ ولكن بعد ان فات وقت نفع الندامة. واما السفينة فحرص عليها اهل اثينا حرصًا عظيماً فبقيت محفوظةً عندهم نحو الف سنة تذكارًا لخلاصهم ولشجاعة ملكهم ثيسيوس

وملك ثيسيوس عوضًا عن ابيهِ ايجيوس وكان حكيمًا صالحًا كما كان حكيمًا شجاعًا . فجمع الشعب في اثينا وازال ما كان بينهم

من الشكاوى والخصومات في ايام ابيهِ واثبت الشرائع الموافقة واجرى العدالة وحافظ على كل ما من شأنهِ نفع شعبهِ وزيادة نعيمهم وراحتهم . فكان ذلك بداءة عظمة اثينا وشهرتها اللتين فاقت فيهما ما سواها بعد ذلك

ويُروَى عن ثيسيوس بعد ما صار ملكاً امورٌ اخرى كثيرة منها انهُ حارب النساء المترجّلات المعروفات بالامازون فقهرهنَّ وتزوّج بملكتهنَّ هيُوليتي وانهُ كان في الصيد الشهير بكَلِيدُون حيث قتل مِيلِياجِر الخنزير وانهُ قاتل المَرَدَة مع اللابيثيين وغير ذلك . واما موتهُ وكيفية موتهِ فمن الامور المجهولة وانما يُعرَف عنهُ ان اهل اثينا خلعوهُ من المُلك قبل موتهِ ونصبوا ملكاً آخر في مكانهِ . وذكر فلوطرخس ان كاهنة ابلُّو اوصت اهل اثينا بعد موتهِ بسنين كثيرة ان ينبشوا عظامهُ ويأتوا بها الى اثينا ويدفنوها بالاجلال والاكرام في مكانٍ موقَّر ويعتنوا بحفظها كل الاعتناء . وكان قبر ثيسيوس في جزيرة شيروس وكان اهلها متوحشين جدًّا فلم يتمكن اهل اثينا من الوصول الى قبرهِ ولا من معرفة المكان الذي كان قبرهُ فيهِ . فتغلَّب كيمون على الجزيرة واخذها وجعل يفتّش عن قبرهِ بالجهد والاعتناء فرأى يوماً نسراً يبحث في التراب فاتخذ ذلك علامة من الآلهة فحفر الارض ووجد تابوتاً كبيرًا

فيهِ عظامٌ وحربةٌ من نحاس وسيفٌ فاخذها الى اثينا وخرج الشعب في موكبٍ حافل لاستقبالهِ وذبحوا الذبائح واقاموا الافراح حبًّا بثيسيوس واكرامًا لهُ . ولم يكن حبهم هذا لهُ لمجرَّد قوَّتهِ وشجاعتهِ بل لانهُ كان محبًّا لهم عادلاً ينصف بينهم ولانهُ كان يلطف بالمساكين ويغيث المظلومين وينجّيهم من ظالميهم. فبهذه كان يُذكَر بين شعبهِ وبها كان يُعَدُّ من اعظم ابطالهم واشرف حكَّامهم



الذهاب لتقديم المحرقة

الفصل الرابع

قصة بلّرُوفون المحزنة


بلّرُوفون والحصان بغاسوس

كان بلّرُوفون بن كلوكوس من حاشية پروتيوس ملك ارغوس وكان على جانب عظيم من القوّة والجمال كأنهُ الهٌ من آلهة اليونان مشهورًا بالشجاعة والفعال الحميدة محبوبًا ومكرّمًا من الجميع . ولكنهُ لم يخلُ مع ذلك كلهِ من الهموم والمصائب كما سيأتي معنا في ما يلي

وكانت انتيا زوجة الملك پروتيوس امرأةً شريرةً فارادت ان تطغي بلّرُوفون ليرتكب الشر معها فأبى فغضبت عليهِ وانقلبت محبتها لهُ بغضًا وارادت ان تقتلهُ فذهبت الى زوجها الملك وكذبت عليهِ كذبًا فاحشًا قائلةً " ان بلّرُوفون اراد ان يزني بي فاقتلهُ" .فصدّق الملك كلام زوجتهِ وغضب غضبًا شديدًا ولكنهُ لم يحبّ ان يقتل بلّرُوفون لانهُ كان مشهورًا بالصلاح والشجاعة

فخاف ان يعيّرهُ الشعب على قتلهِ ولعلهُ لم يصدّق كلام زوجتهِ كل التصديق

ولكنهُ كان لئيماً جباناً فلم يسلك مسلك الشجعاء الكرام ولم يبحث عن حقيقة الامر بل بعث بلّروفون الى حميهِ إيوباتس ملك ليسيا ليقتلهُ مفضلاً ان يكون قتلهُ عن يد غيرهِ لا عن يدهِ كما هو دأب الاشرار المرائين الذين يحبون عمل السيئات في الخفاء والتظاهر بالصالحات امام الناس . فأخذ الواحاً من الخشب لانهم لم يكونوا يكتبون على القرطاس في تلك الايام وخطَّ عليها خطاً غريباً شبيهاً بخط المصريين القديم مفادهُ أن اقتلوا بلّروفون وبعثها بيد بلّروفون الى حميهِ

فحمل بلّروفون الالواح وسار بها الى ليسيا غير عالمٍ بما تتضمنهُ من الكتابة في شأنهِ . وكانت الآلهة تحفظهُ في مسيرهِ على ما قيل في قصتهِ كما نقول نحن ان الله يحفظ خائفيهِ ويرشد الذين يتكلون عليهِ حتى وصل الى بلاد ليسيا الى مدينة الملك ايوباتس بجانب نهر أكسنثوس بعيداً عن ارغوس . فأحسن ايوباتس الملك ملقاهُ اذ لم يعلم غرض پروتيوس من ارسالهِ وأولم لهُ الولائم مدّة تسعة ايام وذبح في كل يوم منها تسعة ثيران اكراماً لهُ ولم يخَف بلّروفون شرّاً بل كان ناعم البال آمن البلبال باكل

ويشرب ويفرح مع المدعوّين. ولما شق فجر اليوم العاشر سألهُ الملك عن سبب مجيئهِ وطلب منهُ العلامة التي بعثها پروتيوس معهُ فاعطاهُ الالواح فلما اطّلع ايوباتِس عليها فهم المراد منها وكتم الامر عنهُ

الَّا انهُ لم يشأْ ان يقتلهُ بعد ان أَولم لهُ الولائم تسعة ايام متوالية فلذلك جعل يفكر كيف يهلكهُ بواسطة أُخرى. فامرهُ ان يذهب ويقتل الخِيميرا وهي — في ما رووهُ — وحشٌ رأْسهُ كرأْس الاسد وبعض بدنهِ كبدن الاسد وبعضهُ كبدن العنزة ولهُ ذنب كذنب التنين وكان قتلهُ يُعَدُّ من المستحيلات. ولا حاجة لان نعيد هنا ما كرَّرناهُ مرارًا من مثل ان هذا الوحش لم يكن لهُ وجود حقيقي وانما المراد بهِ امرٌ عسيرٌ جدًّا كثير الاخطار والمهالك فجعلهُ ايوباتس مهلكًا لبلَّرُوفون

وكان بلَّرُوفون يعلم ما في ذلك من الاخطار والاهوال ولكنهُ اطاع الامر وذهب اولًا مسافة طويلة كثيرة المشقَّات وأَتى الى عين پايرْنيني في كورنثوس قاصدًا ان يمسك الحصان ذا الجناحين الذي كان يرد تلك العين ليشرب منها. وكان هذا الحصان يُسمَّى پيغاسُوس فلما ورد الماء همَّ بلَّرُوفون ان يمسكهُ ففرَّ وطار حتى غاب عن الابصار وحاول بلَّرُوفون مرارًا ان يمسكهُ فلم يستطع



تذليل پيغاسوس

فتضرّع الى الاهة الحكمة مِنرْڤا طالبـاً ان تعينهُ على مسكـهِ . فظهرت لهُ ليلاً في حلمٍ وقالت لهُ قدّم ثوراً ذبيحة للاله نپتون وخذ هذا اللجام الذهبي والجم الحصان بهِ ثم اختفت عنهُ . فلما استيقظ وجد اللجام بجانبهِ فذبح الثور وقدّمهُ وبنى للإلاهة منرفا مذبحًا ايضًا واخذ اللجام بيدهِ وذهب الى العين. فلما رأى الحصان اللجام ذلّ وصار طائعًا لبلّرُوفون فقصد بلّرُوفون الخيميرا وقتلها وعاد الى ايوباتس الملك منصورًا ظافرًا

فلما راٰهُ ايوباتس سالمـاً تحيّر لانهُ لم يخطر لهُ البتة انهُ يقدر على ما لم يقدر عليهِ احدٌ قبلهُ فيقتل الوحش الذي كانت انفاسهُ نارًا آكلةً فدبّر لهُ تدبيرًا اشدّ خطرًا واكثر هولاً من الاول وامرهُ ان يذهب ويقاتل السوليميين وهم قبيلة من رجال الحرب الاشدّاء الذين كانوا يسكنون جبال ليسيا. فذهب بلّرُوفون وقاتلهم وغلبهم وقال اني لقيت في قتالهم اشدّ ما لقيت في حياتي . ثم حارب النساء المترجّلات اللواتي كنّ يمرّنّ انفسهنّ على القتال ويحاربنَ كالرجال فقهرهنّ وعاد منصورًا

فقال بلّرُوفون وهو عائدٌ اني قد اتممتُ اوامر الملك وتغلّبت على تلك الشدائد كلها فسيكرمني الملك على فعالي كما يكرم الابطال العظام فأذهب الى وطني بالسلب الـذي سلبتهُ

واعيش مستريحًا . واما الملك فكان يدبّر عليهِ التدابير ليبيد حياتهُ فاختار خمسين رجلاً من اشدّ اهل ليسيا بأساً واعلمهم بفنون القتال وبعثهم ليكمنوا في غاب في طريقهِ ويبطشوا بهِ وهو راجع فذهبوا ولما دنا بلّروفون منهم قاموا عليهِ يريدون قتلهُ فادار فيهم سيفهُ وقتلهم عن آخرهم وعاد الى الملك سالماً

فلما رآهُ زادت مخاوفهُ وكثرت هواجسهُ وعلم من آثار الدم التي على ثيابهِ والغبار المتلبّد على وجههِ انهُ لقي الكمين وقتلهُ او بدّدهُ ونجا فتظاهر بالسرور واحسن ملقاهُ وقال في نفسهِ اني لا اقدر على اهلاكهِ فصداقتهُ خيرٌ لي من عداوتهِ . ولم يفاتحهُ في امر الكمين بل اولم لهُ وليمة فاخرة وزوّجهُ بابنتهِ لانهُ شجاع ينفعهُ في الشدائد والضيقات . وعاش بلّروفون بعد ذلك سنين كثيرة وولد ثلاثة اولاد واعطاهُ الملك اراضي متسعة واجزل لهُ المواهب والنِعم

ويُروَى عن بلّروفون خبر يحزن سامعهُ وان كان لا يحطُّ من مقام صاحبهِ وهو يعلّمنا — كما يعلّمنا كثيرٌ من القصص التي في هذا الكتاب — اننا كثيرًا ما نتعب في هذه الحياة ونجاهد ولا نجد فيها جزاءً كافيًا لاتعابنا . ويعلّمنا ايضًا ان اعظم بركات هذا العالم قد تكون كلها باطلة واننا نحتاج الى ما هو احسن منها

وابقى اذا كنا نروم ان نتمتّع بالسعادة الحقيقية. وهذا الخبر المحزن هو ان بلَرُوفون جنَّ في آخر ايامهِ وكثرت غمومهُ واسودَّت الدنيا في عينيهِ فهام على وجههِ حزيناً كئيباً حتى رقد رقدة الموت واستراح من اتعاب هذه الحياة. ولنا الرجاء انهُ الآن يتمتَّع في النعيم الابدي لانهُ اذا صحَّ ما قيل في قصَّتهِ من انهُ كان في اخلاقهِ وصفاتهِ بارًّا طاهرًا فهو والذين كانوا مثلهُ من جملة الذين يأتون من المشارق والمغارب ويتكئون في ملكوت السموات ولو لم يعلموا شيئاً عن رجاء النعيم الذي بيسوع المسيح. ومهما كانت حالهُ فلنجتهد نحن الذين لنا رجاء الخلاص بيسوع المسيح ولنعش عيشةً نقيَّةً طاهرةً كما عاش بلَرُوفون

الفصل الخامس

هكتور واكلس



اكلس يقتل هكتور

كان هكتور اشجع اهل تروادة قلباً واعزّهم نفساً واحسنهم تدبيراً في الحروب التي حاربوا بها اليونان ايام حصار ترواده وهو بكر بريام ملك ترواده واخو باريس الذي جلب الشرّ على بلدهِ واثار تلك الحروب الذريعة.

وذلك لانهُ نزل في بيت منلاوس ملك لسيديمون وكان لمنلاوس امرأة جميلة اسمها هيلانة فشغف باريس بحبها واغراها على ترك زوجها وفرّ بها الى بيت ابيهِ في ترواده. فاغتاظ رؤساء اليونان من قباحتهِ واعتمدوا ان يحاربوا ترواده ويستردّوا المرأة منها قهراً. فاجتمعوا باولس في بيوتيا. وفيما هم يذبحون هناك على مذبح تحت شجرة انسابت حية من تحت المذبح وصعدت

على الشجرة واكلت ثمانية فراخ من عشٍّ فيها ثم امسكت امها وافترستها وتحوّلت الى حجر في الساعة فتعجّب الجميع من ذلك وجعلوا يفكرّون ما عسى ان يكون هذا فقال لهم النبيُّ كلخاس ان تأويل ما رأيتم هو هذا : كما ان الحيّة اكلت الفراخ الثمانية واكلت امها فاتمّتها على التسعة هكذا نحن يجب ان نثير الحرب على ترواده تسع سنين ثم نأخذها في العاشرة . ثم اقلعوا ونزلوا امام ترواده

وانتصروا في بداءة الحرب وقتلوا كثيرين من اهل ترواده واكرهوا الباقين على الدخول الى ما داخل اسوار المدينة ونهبوا كلَّ ما حولها ولكن وقعت مخاصمة بين اكلِس اعظم رجال الحرب بأساً وبين أغممنون اعظم قوّادهم فاغتاظ اكلِس غيظاً شديداً واقسم انهُ لا يساعدنَّ اليونان فيما بعدُ . والقى صولجانهُ المحلَّى بالذهب على الارض علامة على صدق قسَمِهِ واظهاراً لشدة غيظهِ . وذهب الى خيمتهِ مع رجالهِ ولم يعُد الى الحرب

فدارت الدائرة على اليونان بعد ذلك وانتصر اهل ترواده عليهم في اغلب المواقع مع انهم كانوا يقاتلون قتال الابطال لانهُ لم يكن بينهم احدٌ يقدر على هكتور البطل الصنديد غير اكلس. فمات منهم خلقٌ كثيرٌ بسبب تعدّي اغممنون وغيظ اكلس .

وجعل هكتور يخرج كل يوم في قومهِ الى خارج المدينة ويقتل اليونان بقرب الاسوار ويطردهم احياناً حتى يدخل مضارب خيامهم ويلاقي ابطالهم فيقتل من يجدهُ في طريقهِ منهم. ونازل يوماً أَجَكْس بطل اليونان الشهير فتقاتلا زماناً طويلاً ولم يقدر احدهما على رفيقهِ فتبادلا الهدايا وافترقا. وكان هكتور لا يفارق القتال ولا يتوانى طلباً للراحة عن ملاقاة الابطال فخاف قومهُ وكانوا يلحّون عليهِ لكي يتقهقر عن مواقع القتال ولا يتعرَّض للاهوال فلا يسمع لكلامهم ولم يترك قومهُ وحدهم ووقفت امرأتهُ اندَرُوماك بجانبهِ يوماً وجعلت تبكي وتطلب اليهِ ان يرثي لحالها قائلةً آه يا هكتور ان شجاعتك لا بدَّ ان تورثك الموت وانت لا تشفق عليَّ ولا على ابنك مع انك تعلم ان فقدك يحرمني كل الافراح ويجلب عليَّ الاحزان والغموم اذ لا أَب لي ولا امّ وانت احبُّ اليَّ من ابي وامي واخوتي وكل من لي فاشفق عليَّ وابقَ هنا آمناً سالماً

وكان هكتور يحبها محبةً شديدةً فاحزنهُ كلامها واجابها قائلاً اني اهتمُّ بهذه الامور كل الاهتمام ايتها العزيزة ولكني لا ارضى بالعار والخجل ان اتقاعد عن القتال وانا عقيد الابطال مُجرَّبٌ بين الشجعان مُقدَّمٌ في المعارك. وانا عالم ان تروادة لا بدَّ ان يحلَّ بها الدمار ولكن ذلك لا يسوءني كما يسوءني امرك حين يأخذكِ اليونان



هكتور وامرأته اندروماك

اسيرةً تبكي على مصابها فيقول الناس انظروا هذه زوجة هكتور الذي كان اشجع اهل ترواده . فعسى ان اموت قبل ان ارى ذلك اليوم فالموت احبُّ اليَّ منهُ"

ولمّا قال ذلك مدَّ يديهِ لابنهِ الذي كان بجانب امهِ فخاف منهُ لانهُ استغربهُ بسبب خوذتهِ النحاسيَّة وخصلة شعر الخيل التي كانت عليهِ فضحك هكتور ونزع خوذتهُ ووضعها على الارض ورفع ابنهُ بين يديهِ وقبّلهُ وصلّى لاجله قائلاً "يا زفس وانتِ ايتها الآلهة لتكن مشيئتكِ ان يكون ابني هذا مثلي رفيع الشأن بين اهل ترواده مقتدراً شجاعاً حتى يقول الناس فيهِ بعد رجوعهِ من القتال انهُ اشجع من ابيهِ" . ولما قال ذلك ناول الصبي لامهِ فتبسّمت وبكت فرقَّ هكتور لحالها وألقى يديهِ حولها يعزّيها ثم انصرفت الى بيتها وكانت تلتفت كل هنيهة وهي تبكي خائفة ان تكون تلك آخر نظرةٍ تنظرهُ فيها

وحارب هكتور حروباً كثيرة بعد ذلك وكان يرجع من اكثرها غانماً ظافراً حتى جاء اليوم الذي تمنّى ان يراهُ قبل خراب ترواده اي يوم موتهِ . وتفصيل ذلك انهُ لمّا أبى أكلِس ان يعود الى القتال لحنقهِ على اغممنون وهزم هكتور جيوش اليونان في اكثر المواقع وقتل منهم عدداً غفيراً رقَّ پترُوكلوس صديق

أكلّس الحميم لحال اليونان وحزن على قتلاهم فجاء الى أكلّس وطلب اليهِ ان يعيرهُ سلاحهُ ليقاتل بهِ. فاجابهُ أكلّس الى ذلك لان اليونان كانوا في خطر عظيم وكان هكتور قد ضايقهم جدًّا وافزعهم ببأسهِ وبطشهِ وشرع في احراق سفنهم. فتقلّد پتروكلوس سلاح أكلّس وجاء الى القتال فلما راهُ جنود تروادهٔ ظنوهُ أكلّس فخافوا وبطش پتروكلوس بهم بطشًا عظيماً وطردهم عن السفن واطفأ ما احرقوهُ ولم يزل يقاتلهم حتى اخذت الشمس في المغيب وهو يهجم عليهم ويقتل ابطالهم . فاصابهُ الدوار حينئذٍ ووقعت خوذتهُ عن رأسهِ فطعنهُ بعض ابطال تروادهٔ بالرمح في قفاهُ واقبل هكتور عليهِ فقتلهُ وسلب اسلحة أكلّس منهُ وأتى بها الى بيتهِ في تروادهٔ

فلما علم أكلّس ان صديقهُ قد قُتل وان سلاحهُ قد سُلِب غاب عن الصواب لشدَّة ما اعتراهُ من الكدر والغيظ واشتدَّ حنقهُ على هكتور وهاجت كل عواطفهِ على قتلهِ لانهُ انتصر على اليونان ببأسه وحسن تدبيرهِ وقتل صديقهُ وسلب سلاحهُ فنسي غيظهُ على اغممنون وطلب المصالحة معهُ فلمَّا تصالحا برز أكلّس للقتال متسلحًا بسلاح جديد صنعهُ لهُ ڤلكان بطلب امهِ ثيتس. وهجم على الاعداء ثائرًا فقتل جمهورًا غفيرًا منهم ونازل هكتور

وكاد يقتلهُ لو لم يخطفهُ الالهُ ابلو في ضبابة فلم يعُد أكلِس يراهُ

وكان أكلِس اقوى من هكتور ولكنهُ لم يكن اشجع منهُ وكان هكتور يعلم ان أكلّس اقوى منهُ ولكنهُ كان اشجع من ان يهاب الموت او ان يختفي من ساحات القتال. ولذلك بقي وحدهُ خارج المدينة بعد ان فرَّ اهل ترواده جميعهم من امام أكلِس ودخلوا اليها. فجعل ابوهُ يطلب اليهِ باكيًا متوجعًا ان يدخل المدينة فابى وبقي منتظرًا قدوم عدوهِ فلما اقترب أكلّس منهُ وسلاحهُ يلمع عليهِ استولى الرعب على هكتور ففرَّ ودار حول المدينة ثلاث دورات وأكلّس يطاردهُ . ثم عادت شجاعتهُ اليهِ فوقف وقال لأكلّس "كفى يا ابن پيليُوس فاني لا افرُّ منك بعدُ واني لاثبت ثبوت الابطال فإما ان اقتلك او أُقتَل بيدك". ولما قال ذلك قاتلهُ مستقتلاً ولكن أكلّس قوي عليهِ وقتلهُ ونزع سلاحهُ واليونان وقوف حولهُ يتعجبون من حسن قامتهِ وهيئتهِ. واسرعوا لاخذ الثأْر واظهروا ما كان في صدورهم من الحقد والقساوة وحب الانتقام فصار الذين كانوا يفرُّون منهُ في حياتهِ يبادرون لطعنهِ بالرماح وضربهِ بالسيف وهو مقتول. ثم ربطهُ أكلّس بعجلات مركبتهِ وجرَّهُ امام عيون اهل ترواده وعيون ابيهِ وامهِ حتى وصل بهِ الى خيمتهِ. فيظهر لكم من ذلك قساوة اليونان وحبهم للانتقام وكان اهل

ترواده مثلهم في القساوة والانتقام لانهم لم يتعلموا ان يكرموا اعداءهم بل كان غرضهم من الحرب الانتقام فلذلك كان الواحد منهم يعامل عدوّهُ شرّ معاملةٍ. ولكن سواء كانت المعاملة حسنة او رديئة فالحرب رديئة على كل حالٍ تأتي بالويلات على الذين يحاربون وعلى مئات والوف من الذين لا يحاربون فترمّل النساء وتيتّم الاطفال وتخرب البيوت وتهيج في الصدور حاسات النقمة والقساوة. أفلا يجب علينا ان نبذل كل ما في طاقتنا لتعجيل الزمان الذي فيهِ تنتهي الحروب ولا تشهر امّة على امّةٍ سلاحًا. بلى واحسن ما نعملهُ لتعجيل ذلك هو ان نكون نحن من اهل العدل والحقّ والاستقامة محبّين شفوقين في معاملتنا للآخرين لان المحبة تبطل الحرب فمتى احبّ الناس بعضهم بعضًا محبّة صحيحة كفّوا عن محاربة بعضهم بعضًا

ان الانسان يستحسن الحرب والقتال اذا رأى الجنود المنظّمة والاسلحة اللامعة والرايات المتعدّدة والخيول المطهّمة ولكنهُ لا يجد اقبح منها اذا رأى تلك الجنود ملقاة على وجه الارض تخبط بدمائها وتئنّ من اوجاعها وتأسّف على رؤية نسائها واولادها واهاليها واحبابها. والشجاعة من الصفات الممدوحة ولكن بشرط ان تكون في سبيل الاستقامة. والمخاطرة واحتمال المشقّات

مُستحسَنان ولكن في خدمة الرب يسوع المسيح. والحرب التي تُثار حتى يسدّ غبارها الاقطار واجبة ولكن على الشرّ والظلم والخطية. هذه هي المستحسنة الواجبة اقامتها لانها تفضي الى ابطال الحروب وخلاص الناس من الويلات والشرور

ومما يسرُّ ذكرهُ ان اكلس سمح لپريام ابي هكتور بجثة ابنه لمَّا جاء وطلبها منهُ فاخذها ابوهُ الى ترواده وبكى اهل ترواده عليها بكاء مرًّا وناح ابوهُ وامهُ وزوجتهُ اياماً كثيرة عليهِ. وهكذا انتهت حياة بطَل من اعظم الابطال

ومات اكلس بعد موت هكتور بزمان غير طويل بسهم من يد پاريس اخي هكتور

الفصل السادس

في تيهان عُولس .


عولس على الرمث

ولما انتت الحرب بين اليونان واهل ترواده وخربت ترواده ونُهبت اراد ابطال اليونان الرجوع الى الاوطان فاجتمعوا معًا للمشورة فاشار اغممنون وبعض الروساء بالبقاء مدّةً وتقديم الذبائح للآلهة واشار الباقون بالسفر حالاً فوقع الاختلاف بينهم وعلا الضجيج وطالت المشاتمة الليل كلهُ ولما اصبح الصباح سار نصف الجيش باسلابهم الى السفن واقلعوا الى بلادهم وبقي النصف الآخر في مكانهِ . وكان عولس من جملة الذين اشاروا بالسفر حالاً فسافر بقومهِ مع من سافر ولكنهُ لما وصل الى تَنَدُس رجع في بعض السفن وانضمَّ الى اَغممنون

وبقي معهُ مدّةً لا يُعرَف طولها ثم سافر مع قومهِ في اثنتي عشرة

سفينة واتى الى بلاد الكيكونيين فهاجم مدينة إسمَارُوس واحرقها وقتل جماعةً من اهلها. واطال قومهُ البقاء فيها على الاكل والشرب واللهو فاجتمع عليهم رجال المدينة في اليوم التالي وقاتلوهم النهار طولهُ وهزموهم عند المساء ففرُّوا الى السفن بعد ان قُتِلَ منهم ستة من رجال كل سفينة فنال عولس جزاء شرّهِ لانهُ طمع فاراد ان يزيد اموالهُ بسلب مال غيرهِ

ثم اقلعوا من هناك ولم يبعدوا حتى هاجت عليهم العواصف ومزَّقت قلوع سفنهم وتقاذفتهم الامواج يومين كاملين ثم هدأت في اليوم الثالث فساروا آمنين واشتدَّت آمالهم ببلوغ ايطاكي التي كان عولس يملك عليها. ولكن هاجت عليهم ريح الشمال وهم مارُّون برأس ماليا فحملتهم الى جزيرة كيثيرا وساقتهم من هناك تسعة ايام متوالية وتركتهم في بلاد غريبة فنزلوا على البر لاستقاء الماء وجرُّوا السفن الى الشاطئ وجلسوا يهيئون الطعام. ولما اكلوا بعث عولس رجالاً منهم ليسألوا عن اسم البلاد التي هم فيها والشعب الذي يسكنها. فجال الرجال حتى اتوا غياضاً كثيرة الاشجار والازهار تجري في ارضها المياه والانهار كأنها جنَّةٌ من الجنَّات ووجدوا فيها رجالاً ونساء ذوي لطف وبشاشة فحيَّوهم ورحَّبوا بهم ودعوهم الى اكل النبق معهم فجلس بعضهم واكلوا

ولمّا اكلوا أثّر فيهم تأثيرًا غريبًا فنسوا اوطانهم وزالت رغبتهم في العودة اليها وطابت لهم الاقامة في البلاد التي كانوا فيها ولذّ لهم أكل النبق الذي يجلو عن قلب آكلهِ صدأ الهموم والغموم وينسيهِ المصائب والاحزان وقالوا لماذا نتعب بالتجذيف ونخاطر بنفوسنا في الانواء والعواصف والبحور الهائجة ونحن ههنا آمنون غوائل الدهر متمتعون بنعيم الحياة ورغد العيش ومن يدري أنصل الى بلادنا سالمين ام تمزّقنا الامواج وتبتلعنا وحوش البحر فلنبقَ في هذه البلاد الطيّبة الهواء الصحيحة الماء البديعة المناظر والخمائل التي تقرُّ فيها النواظر وجعلوا يكلمون بعضهم بعضًا في ذلك حتى احبوا الاقامة حيث كانوا وزهدوا في الاهل والاوطان والاحباء والخلاّن

ولكن عولس لم يسمح لهم بالبقاء ولم يرضَ بأن يعيشوا عيشة الكسل والبطالة وينسوا اولادهم ونساءهم واقاربهم لانهُ كان رجلاً حكيمًا عاقلاً يعلم ان عاقبة الكسل والبطالة الشقاء والتعاسة فلذلك تعاون هو والذين لم ياكلوا النبق وجرُّوا الذين اكلوهُ حتى اتوا بهم الى السفن كرهًا وهم يبكون وربطوهم بمقاعد المجذّفين لكي لا يفرُّوا وجذفوا مسرعين حتى توارت تلك البلاد عن ابصارهم. ولو علموا بالاخطار التي لاقوها بعد ذلك وبعاقبة

اتعابهم لبقوا جميعهم هناك لانهُ لم يصل احد منهم الى وطنهِ الاَّ عولس. ويحكى انهم وصلوا الى بلاد الكيكلوبيين وكانوا في ما زعم شعراء اليونان مَرَدة يسكنون الكهوف لكلٍّ منهم عين واحدة فقط في جبهتهِ ولعلَّ المراد من ذلك انهم كانوا اناساً متوحشين يأكلون البشر كبعض القبائل المتوحشة في ايامنا هذه. وكانت بلادهم على غاية الخصب والجودة تنبت فيها النباتات على انواعها بلا حرث ولا زرع ولا غرس ولا تعب وكان لهم قطعان كثيرة من الغنم والمعزى. فنزل عولس ورفاقهُ في جزيرة منفردة بقرب تلك البلاد كثيرة المعزى البريَّة وناموا هناك لان ضباباً كثيفاً حجب البرّ والبحر عنهم فلم يدروا الاَّ وقد صارت قعور سفنهم تزحف على الارض . ولما اصبح الصباح طافوا في الجزيرة واصطادوا تسع عنزات بريَّات لكل سفينة واكلوا وشربوا وطابت نفوسهم الى المساء . فقال عولس اني اريد ان اقصد الارض التي قبالتنا من حيث تخرج اصوات الناس والمواشي وأمر السفن ان تبقى في مكانها حتى يرجع وذهب في سفينتهِ وجاء الى البرّ ونزل مع رفاقهِ قرب مغارة بجانبها مواشٍ كثيرة رابضة قرب مارد من المَرَدة اسمهُ بوليفيموس وكان نائماً على الارض . فرأوا في المغارة آنية كثيرة فيها حليبٌ وزبدةٌ وجبنٌ كثير فدخلوا واكلوا . ثم قال الرجال

لعولس دعنا نأخذ بعض هذا الجبن ونجو بانفسنا الى السفينة فاننا نخشى شرَّ هذا المارد لان صورتهُ ليست كصورة البشر. فقال لهم عولس اصبروا حتى يستيقظ من نومهِ فاني اريد ان اكلمهُ واطلب منهُ هديةً. فلما قام المارد من نومهِ واقبل نحوهم خافوا خوفًا عظيماً وفرُّوا جميعًا الى اخفى مكان في المغارة. ثم ساق المارد بعض قطعانهِ الى المغارة ليحلبها ودحرج حجرًا كبيرًا على فم المغارة وابقى القطعان الباقية خارجها. فحلب ما ادخلهُ ثم اوقد نارًا فرأى اليونان في المغارة فصاح بهم صيحة ارهبت قلوبهم قائلاً "من انتم ومن اين اتيتم أأنتم لصوص يطوفون البحار ويجلبون الشرَّ على العالم؟"

فاخبرهُ عولس مرتجفًا انهم يونان رجعوا من حرب تروادة فساقتهم الانواء الى تلك الجهات وطلب اليهِ ان يضيفهم او يهديهم هديةً كما كانت عادة الناس في تلك الايام زاعماً ان ذلك يرضي الآلهة وان الذي يردُّ الغريب فارغًا يكون بخيلاً شريرًا. وقال لهُ انهم دخلوا مغارتهُ ضيوفًا لا لصوصًا مؤملين انهُ يحسن ملقاهم وختم كلامهُ قائلاً "فاكرم الآلهة ايها الفاضل فلقد اتيناك ضارعين سائلين وزفس نصير الضارعين الغرباء"

فهزأ المارد بكلامهِ وقال لهُ "اننا نحن المردة لا نبالي بآلهتك لاننا ارفع منهم شأنًا واعلموا ان حياتكم في يدي لا اعفُّ عنها الاَّ

اذا شاءت ارادتي" ثم امسك اثنين من الرجال وضرب الارض بهما فقتلهما واكلهما والباقون ينظرون اليهِ . فندم عولس لانهُ لم يسمع لرجالهِ ولم يعُدْ الى السفينة وخطر لهُ ان يقتل المارد وهو نائم ولكنهُ امتنع عن ذلك خوفاً من ان يموتوا داخل المغارة اذ لا يقدرون ان يدحرجوا الصخر الذي كان المارد قد سدَّ المغارة بهِ فبات تلك الليلة مع رجالهِ منتظراً الفرج في اليوم التالي

ولما اصبح الصباح امسك المارد اثنين آخرين من الرجال واكلهما وخرج من المغارة ثم سدَّ وراءهُ . فقال عولس لرفقائهِ ليس لنا الآن نحتال على هذا المارد فننتقم منهُ ونجو بانفسنا فهلمَّ نسقيهِ خمراً متى رجع حتى يسكر وينام فنوقد عوداً من الحطب في النار وندسهُ في عينهِ وهو نائم فنعميهِ. فلما رجع المارد بمواشيهِ الى المغارة سدَّها وراءهُ فاسكروهُ واعموهُ وهو نائم فاغتاظ غيظاً شديداً وجعل يتلمس حولهُ لعلهُ يمسكهم ويهلكهم فكانوا يفرُّون من امامهِ يختبئون في جوانب المغارة حتى طلع الصباح ففتح المارد المغارة واخرج الغنم والمعزى افراداً لئلاَّ يفرَّ عولس ورفقاؤهُ . فاختبأوا تحت بطون الغنم وخرجوا وهو لا يدري بخروجهم وساقوا امامهم جانباً عظيماً من المواشي ودخلوا السفينة فتبعهم المَرَدة وپوليفيموس معهم وجعلوا يرمونهم بالصخور حتى اوشكوا ان يغرقوا السفينة

ولكنهم نجوا سالمين واتوا الى رفاقهم واخبروهم بما كان فاقلعوا من الجزيرة في اليوم التالي وسافروا حتى اتوا الى جزيرة الملك ايُولوس الطافية وكانت مسوَّرة بسور من النحاس

فقابلهم ايولوس بالاكرام وضافوهُ في قصرهِ شهراً كاملاً. ثم قاموا للسفر فاعطى ايولوسُ عولسَ كيساً ربط فيهِ الرياح لكي لا تسوقهم عن ايطاكي لان زفساً كان قد سلَّط ايولوس على الرياح كما زعم الشعراء فقيَّدها كما قدَّمنا وبعث الريح الغربيَّة وراء السفن لتسوقها الى مرفإها سالمةً . فغار رجال عولس منهُ لان اهل كل بلادٍ كانوا يخصُّونهُ بالاكرام والانعام وظنُّوا ان الكيس الذي اهداهُ اياهُ ايولوس مملوءٌ ذهباً وفضةً فقال بعضهم لبعض تعالوا نفتح الكيس وهو نائم وننظر ما فيهِ فحلُّوا سمط الفضة عنهُ وفتحوهُ فوثبت منهُ جنَّة وحوَّلت بعضاً منهم رياحاً تهبُّ من كل ناحيةٍ دفعة واحدة فشتَّتتهم الرياح وفرَّقتهم شذر مذر في كل الاقطار بعد ما صاروا بمرأى من بلادهم فاهلكتهم الغيرة والطمع ولم يرجع احدٌ منهم الى وطنهِ الاَّ عولس

فساقت الرياح العنيفة سفينتهُ الى بلاد الليستريكونيين الذين ياكلون البشر فقتلوا بعضاً منهم واهلكوهم . ثم ساقتها الى جزيرة شِرْكي وهي ساحرة فصيَّرت بعضهم خنازير والصحيح انهم

كانوا قد صاروا كالخنازير في الافراط في المآكل والمشارب ولعلَّ هذا هو المراد من تحويل الساحرة اياهم الى خنازير . اما عولس فلم يؤثر سحرها فيهِ لانهُ لم يسقط في التجارب التي سقط قومهُ فيها . ويقال انهُ استعان عليها بالاله هرمس (عطارد) فاجبرها على ردّ قومهِ الى بشرٍ كما كانوا ثم سافر بهم من جزيرتها . فمرُّوا بالصخور التي كان السيرين يغنّين عليها غناء مطربًا يجذب المارّين بهنَّ اليهنَّ فيقتلنهم . وكانت شِرْكي قد حذَّرت عولس منهنَّ فسدَّ آذان قومهِ بالشمع لكي لا يسمعوهنَّ واوصاهم ان يربطوهُ الى السارية ربطًا شديدًا وان يشدُّوا لهُ الوثاق كلّما لحَّ عليهم بان يحلّوهُ . ففعلوا كذلك ومرُّوا بهنَّ سالمين تخلَّص قومهُ من الوقوع في فخ السيرين والتسليم لتجاربهنَّ . واعلموا ايها الاولاد انهُ يوجد الآن امورٌ كثيرة تفضي الى الشرّ والهلاك مثل السيرين هيئتها جميلة وصوتها مطرب شجيٌّ وظاهرها طاهر كأنَّ لا غشَّ فيها ولا ضرر منها وكأنَّ كل اللذة والبهجة فيها وهي في الحقيقة نار آكلة تبتلع من ينقاد اليها ابتلاعًا . وقد حذَّرنا سليمان الحكيم من الانقياد اليها قائلًا "لا تدخل في سبيل الاشرار ولا تَسِر في طريق الأثمة . تنكَّب عنهُ ولا تمرَّ بهِ حِد عنهُ واعبر" (١) وذلك

(١) ام ٤: ١٤ و ١٥

يُستفاد من القصَّة التي اوردناها ايضاً

ثم جاءوا الى الصخور الضالَّة التي مرَّت سفينة ارغوس بها كما مرَّ في الفصل الاوَّل ومرُّوا بسلاً فمدَّت اعناقها الهائلة من كهفها في الصخر وافترست ستةً منهم ثم مرُّوا بالدُّرْدُور خارِبدِس سالمين وجاءوا الى جزيرة ترِينَكْرِيا حيث كانت مواشي الشمس ترعى. وكانت الساحرة شِركي قد اوصت عولس ان لا يمسُّوا تلك المواشي المقدَّسة قائلةً انكم ان لم تمسُّوها تصلوا بعد مخاطر كثيرة الى ايطاكي وان مسستموها تهلكون على الطريق لا محالة. فلما صاروا مقابل الجزيرة امرهم عولِس ان يتجاوزوها فغضبوا وقالوا لهُ انك صارم ُقاسٍ ولست بمتعَبٍ مثلنا فلو اضناك التعب كما اضنانا لتمنيت ان تبقى ههنا وتستريح وتنام عوضاً عن ان تسوق السفينة في بحر قد غشاه الضباب فلا نرى امامنا شيئاً منهُ . وما زالوا بهِ حتى اقنعوهُ بالنزول الى الجزيرة على غير رضاهُ لانهُ كان يعلم ان السير عنها خير من البقاء فيها . ولكنهُ لم يسمح لهم بالنزول حتى اقسموا لهُ انهم لا يمسُّون المواشي البتة بل يكتفون بالطعام الذي يأْخذونهُ معهم من السفينة

ثم نزلوا الى الجزيرة وبكوا رفاقهم الذين اكلتهم سلاً وناموا واستراحوا وفي اليوم التالي ثارت ريح عنيفة واستمرَّت شهراً من

الزمان فاضطرُّوا ان يقيموا في الجزيرة تلك المدة كلها واكلوا كل ما كان معهم من المؤُونة وجعلوا يتصيدون السمك والطيور ويحتملون الجوع المضني ولا يتعرَّضون لمواشي الشمس محافظةً على القسم الذي اقسموهُ قبل نزولهم الى الجزيرة . وضاقت الحيَل بعولس واسودَّت الدنيا في عينيهِ فطاف في الجزيرة يصلّي الى الآلهة لكي تفتح لهم بابًا للفرج . لان اليونان كانوا يصلُّون الى آلهتهم في ضيقهم ويطلبون مساعدتهم مع جهلهم الاله الحيّ الحقيقي . ولما تعب جلس واغتسل ثم اضطجع ونام

وفيما كان غائبًا قام يورِيلوكوس وهو اوَّل من طلب النزول الى جزيرة الشمس وغاضب عولس بالكلام ولامهُ على قساوتهِ وصرامتهِ فابتدأ يحرّض رفاقهُ على الحنث باقسامهم قائلاً "اسمعوا لي يا رفاقي . ان الموت بالجوع شرُّ الميتات فتعالوا نذبح من هذه المواشي للآلهة ومتى جئنا الى ايطاكي بنينا للشمس هيكلاً ووضعنا فيهِ تماثيل كثيرة جميلة . وان غضبت الشمس علينا مع ذلك وغرَّقت سفينتنا فخيرٌ لنا ان تبتلعنا اللجج من ان نموت جوعًا على هذه الجزيرة المقفرة"

فساقوا ثيرانًا من احسن الثيران مغرورين بقول صاحبهم وقرَّبوا بعضها للآلهة واكلوا البعض الآخر وشبعوا ثم ناموا فسخط

عليهم اله الشمس لانهم قتلوا مواشيهُ وتهدَّد زفساً اله الآلهة قائلاً "انك ان لم تنتقم لي من عولس ورجالهِ نزلت الى بلاد هادِس ولم اعد أُشرق على الارض"

فاجابهُ زفس قائلاً "يا اله الشمس لا تغب عن الارض وسهولها الجميلة فاني سارمي سفينتهم بصاعقة فاشقُّها شقين في وسط اللجج". فهل تصدّقون ان الآلهة تتكلَّم كذلك؟

واستمرَّ الرجال في الجزيرة ياكلون ويلذُّون ستة ايام وفي اليوم السابع اقلعوا فلما ابتعدوا وتوارى البرُّ عنهم طلعت غيمةٌ سوداء وانتشرت حتى غشَّت السماء كلها فاسودَّت السماء من فوق والبحر من اسفل وقطعت الريح الغربيَّة حبال السفينة وقصفت السارية فوقعت في السفينة بما عليها وقتلت مدير الدفَّة ونزلت صاعقة هائلة على السفينة فحطَّمت دفَّتها وطغت الامواج عليها فاختطفت الرجال واحداً فواحداً منها ولم يبقَ غير عولس. ثم كسَّرتها فتعلَّق عولس بالسارية ورجعت بهِ الامواج الى الدُّرْدُور المخيف شارِبْدِس

وكان فوق الدُّردور تينة قد تدلَّت اغصانها فلما حملتهُ الامواج الى الدردور ترك السارية وتعلَّق باغصان التينة حتى قذفت الامواج السارية فتمسَّك بها فحملتهُ الامواج تسعة ايام

ثم ألقتهُ على سواحل أُوجيجيا جزيرة الملكة كالپسو

فالتزم ان يقيم هناك ثماني سنوات لانهُ لم يكن عندهُ سفينة يسافر فيها ولم تصل سفينة من سفنهِ الى هناك واحبَّتهُ كالپسو فارادت ان تبقيهُ عندها كل ايامهِ فلم تعِنهُ على السفر من عندها . وكان مسكن كالپسو من اجمل المساكن اي كهفاً كبيراً في الصخر على بابهِ كرمة قد اعترشت ودلت اغصانها فوق اربع عيون ينسكب منها الماء ابيض كالجين . وامامهُ مروج خضراء ينتشر منها شذا البنفسج وغيرهِ من الازهار وحولهُ الغياض الغضَّة الاشجار المغردة الاطيار من بلبلٍ وورقاء وهزار وسائر ما يجلو عن القلب الغموم ويفرج الكرب والهموم

ولكنَّ عولس لم يسرَّ بالاقامة هناك لان قلبهُ كان في ايطاكي عند امرأتهِ پنلوبي وابنهِ تلياك الذي فارقهُ طفلاً فصار في غيبتهِ رجلاً . فكان يقضي اكثر ايامهِ على شواطئ الجزيرة باكياً على نفسهِ ومتحسراً على اهلهِ واقاربهِ ووطنهِ

ويُقال ان الآلهة اشفقت عليهِ اخيراً فارسلت عطارد الى كالپسو لكي تطلق سبيلهُ فلم تجسر كالبسو ان تعصي امرها فأذنت لهُ في الرحيل ووعدتهُ انها تساعدهُ على بناء رَمثٍ يركبهُ ويسافر عليهِ الى ايطاكي . فلما كمل الرَمث اعطتهُ خبزاً وخمراً ولباساً -

فاقلع عند هبوب الريح الموافقة وسافر سبعة عشر يوماً متجهاً الى اليسار كما اوصتهُ ومستدلاً بالنجوم على طريقهِ وفي اليوم الثامن عشر راى جبال سخيريا (١) من بعيد كأنها ظلولٌ داخل البحر وكانت كالپسو قد أوصتهُ ان يسافر الى تلك الجزيرة ويقلع منها الى بلادهِ

فلما رآهُ الهُ البحر نبتون (٢) انزل عليهِ نوءًا عنيفاً لانهُ كان قد اعمى عين ابنهِ المارد پوليفيموس كما سبق الكلام عليهِ . فجاش البحر وعلَت الامواج حتى غمرتهُ فيئس من النجاة وقال يا ليتني قُتلِت مع الذين قُتِلوا في ترواده فكنت استرحت من هذه الحياة واتعابها ولم يفرغ من كلامهِ هذا حتى عانتهُ موجة كبيرة بعنفٍ شديد فكسرت سارية الرمث والقتهُ في وسط المياه المزبدة . فجاهد حتى وصل الى الرمث وتمسَّك بهِ تمسكاً شديدًا والامواج تقذفهُ الى كل جانب . فشفقت عليهِ الالاهة اينو لشدَّة ما قاسى وصعدت من الاعماق وجلست على الرمَث وقالت لهُ ايها الرجل المنكود الحظ ان نبتون لا يقتلك ولو كان يتمنى قتلك فانزع رداءك عنك واترك هذا الرمث واسبح الى بلاد الفياشيين . ثم اعطتهُ منديلاً واوصتهُ ان يفرشهُ تحت صدرهِ فلا يغرق ولما قالت

(١) يظن البعض انها كوركيرا المسماة اليوم كورفو والارجح انها خرافية

(٢) وفي خرافات اليونان بوصَيدون

ذلك غاصت في الماء واختفت عنهُ

فخاف عولس ان يكون ذلك حيلة من بعض الآلهة لهلاكهِ لان الناس لم يكونوا يحسنون الظن في نفس الآلهة التي كانوا يعبدونها في تلك الايام فأبى ان يترك الرمث حتى جاءت موجة عظيمة فغمرتهُ ولطمت الرمث فكسَّرتهُ . فامسك بخشبةٍ منهُ ونزع ثيابهُ عنهُ وفرش المنديل تحتهُ وجعل يسبح قاصداً البرَّ

فبقي في الماء يومين بليلتيهما والامواج تذهب بهِ كل مذهب وفي اليوم الثالث هدأ البحر فحملتهُ موجة كبيرة بلطف حتى اوصلتهُ الى قرب الشاطئ ففرح فرحاً عظيماً لمَّا رأى البرَّ قريباً منهُ ولكنهُ خاف ان يصطدم بالصخور التي كانت الامواج تلطمها وتزبد حولها . وفيما هو يفتكر في واسطةٍ يتخلَّص بها اتت موجة عظيمة فحملتهُ واوقفتهُ على صخرٍ منها ثم حملتهُ وهي راجعة وردَّتهُ الى البحر فتهشَّم جداً وكاد ييأس من النجاة . ثم اخذ في السباحة محترساً من ان يصطدم بالصخور حتى وصل الى مصبِّ نهر يجري الى البحر فصلَّى في قلبهِ كما نصلّي في ضيقتنا فسكن ماء النهر فصعد الى البرّ معيي من التعب

ولمَّا رجع اليهِ بعض قوّتهِ قام والقى المنديل في النهر ليرجع الى الالاهة اينو فحملهُ ماء النهر الى البحر . وجثا عولس بين

الاعشاب التي على حافة النهر وقبّل الارض فرحاً . ثم دخل غيضةً قريبةً منهُ وفرش ورق الشجر اليابس تحت زيتونة غضةً واضطجع عليهِ وتغطّى بورق مثلهِ ايضاً ونام

وكان الفياشيُّون شعباً محبوباً عند الآلهة وكانت السفن لا ترد من الخارج الى بلادهم ولكن سفنهم كانت على غاية الجمال والمناسبة يسافرون فيها فتسير مسرعة كالطير وتقطع البحور العظام حاملة الاموال من البلدان البعيدة. فاوصلت الإلاهة مِنرْفا عولس الى تلك البلاد ليسير في سفينة من سفنها آمناً سالماً الى بلادهِ

وفي الصباح جاءت نَوْسِكا بنت أَلكينُوس ملك تلك البلاد مع جواريها ليغسلنَ ثيابهنَّ في النهر فغسلنها ثم لعبنَ ورقصنَ معاً فسمعهنَّ عولس وخاف لانهُ لم يكن يُستبعَد ان يكون سكان البلاد برابرة متوحشين او مَرَدة فيأكلوهُ . ولكنهُ قام ليرى ما هم. فلما رأتهُ الجواري خارجاً من الغيضة مهشَّماً مرضوضاً وليس عليهِ الّا القليل من الثياب خفنَ وهربنَ واما بنت الملك فبقيت في مكانها ونادتهنَّ فوقف عولس من بعيد وطلب اليها ان تشفق عليهِ وتعطيهُ ثياباً يستتر بها وتدلهُ على طريق المدينة

فامرت جواريها ان يعطينهُ طعامـاً ولباسـاً وكوزاً من الزيت ليدَّهن بهِ بعد استحمامهِ فاعطينهُ فاكل ولبس وتوجَّه الى

يت الملك الكينوس فتزيّت منرفا الاهة الحكمة بزيّ جارية حاملةٍ جرّة ولاقتهُ وسارت امامهُ كالدليل فتبعها متعجبًا من حسن السفن والمِيَن وجمال رجال الفياشيين الذين كانوا كالآلهة في جمال منظرهم. ثم اخبرتهُ منرفا ماذا يفعل في قصر الملك وذهبت عنهُ تقطع البحر

فلما رأى عولس قصر الملك دُهش جدًا لان حيطانهُ كانت من النحاس وابوابهُ من الذهب واعمدتهُ من الفضّة وعلى جانبي مدخلهِ كلاب من الفضّة والذهب . وفيهِ عروش مزيّنة بابهى المنسوجات واثمنها معدّة لجلوس الضيوف عليها واشخاص من الذهب قائمة على ركائز وحاملة منائر تُنار فيها الانوار وكان فيهِ قوّاد ورؤساء لابسون افخر الملابس. فدخل عولس القصر والملكُ والقوّاد والرؤساء على الطعام فجاز بينهم حتى قرب من الملكة إرِيني كما اوصتهُ منرفا وركع على ركبتيهِ امامها طالبًا ان ترسلهُ سريعًا الى بلادهِ ثم قام من امامها وجثا على الرماد قرب النار دلالةً على حزنهِ وشدّة ضيقهِ

فتعجّب كل من حضر ولم يفهْ احدٌ منهم بكلمة . ثم تكلم شيخ بينهم لهُ منزلة رفيعة عند الملك لحكمتهِ فقال للملك "يا الكينوس لا يليق بك ان تترك غريبًا يجلس على الرماد فاجلسهُ على عرش

وقدم لهُ طعامًا ليأكل وامزج الخمر لنسكبها امام الاله زفس

فسمع الملك لكلام الشيخ ورفع عولس عن الارض واجلسهُ على عرش وامر جارية فقدمت لهُ ماء في ابريق من الذهب فاغتسل ثم بُسط امامهُ الخوان وصُفت عليهِ الوان الطعام والمدام فاكل وشرب وطابت نفسهُ . ولما انصرف الضيوف قالت لهُ الملكة مَن انت ومن اين اتيت ومن اعطاك هذه الثياب اذ كانت قد عرفت بعض الثياب التي اعطتهُ اياها ابنتها لانها كانت من صنعها . فاخبرها عولس انهُ جاء من جزيرة كالپسو وان كالپسو اعانتهُ على السفر واوصتهُ ان يأتي الى هناك فوعدهُ الملك ان يبعثهُ في الغد في احدى سفنهِ السريعة . ونام عولس تلك الليلة على سرير فاخر في قصر الملك

وفي الغد جمع الملك قومهُ وكلَّمهم بما وعد بهِ عولس فقرَّ رأيهم على ان يرسلوهُ في احدى سفنهم السريعة و يرسلوا معهُ اثنين وخمسين رجلًا من احذق بحريتهم . ثم دعا الملك امراء مملكتهِ الى قصرهِ ليحضروا الوليمة التي أولمها اكرامًا لضيفهِ عولس فاكلوا. وانشد لهم الشاعر ديمودُوكوس النشائد الشجيَّة عن حرب ترواده وخرابها وعدَّد افعال الابطال الذين حاربوا فيها حتى بكى عولس ولم يعلم احدٌ سبب بكائهِ لانهُ لم يكن قد اخبرهم مَن هو.

فطلب الملك اليهِ قائلاً اخبرنا عمّا اصابك في زمانك فاخبرهم عمّا اصابهُ بعد سفرهِ من ترواده حتى أَتى الى جزيرة أُجيجيا وكانوا جميعًا يصغون منذهلين

وفي الغد ودَّعهُ الملك توديع الاحباب ودعا لهُ بالامن والسلامة وأَرسل معهُ ساعيًا الى السفينة واهداهُ هو والملكة هدايا كثيرة ثمينة فاخرة فحملها الخدَم الى السفينة ونصبوا لهُ سريرًا في موَخر السفينة فنام فيهِ نومًا لذيذًا وذهبت السفينة تمخر الماء مسرعة كالطير حتى اتت بهِ الى بلادهِ

ولما اتت الى الشاطئ رفعهُ البحريَّة عن السرير وهو نائمٌ ووضعوهُ على الرمال بعيدًا عن الامواج قرب مغارة النياديات المقدَّسة ووضعوا الهدايا بجانب جذع زيتونة كبيرة قرب المغارة ايضًا ورجعوا مسرعين نحو بلادهم فغضب عليهم الاله نپتون لانهم اوصلوا عولس الى بلادهِ فحوَّل سفينتهم الى صخر فماتوا ولم يعودوا يرون بلادهم

ولما استيقظ عولس من نومهِ وجد نفسهُ وحدهُ في بلاد غريبة ولم يعلم انهُ في بلادهِ قرب اهلهِ لان منظر تلك البلاد كان قد تغيَّر عمَّا كان قبل مفارقتهِ اياها واحاطتهُ منروڤا بضبابة لكي لا يعرفهُ احدٌ من اهلهِ ومن رعيَّتهِ. فجعل يندب سوء حظهِ قائلاً يا ليتني بقيت

عند الفياشيين . ثم ذمّ الفياشيين على غدرهم واخلافهم لوعدهم زاعماً انهم اخذوهُ الى بلاد غير البلاد التي وعدوهُ بالذهاب اليها وكان يمشي بجانب البحر نادباً باكياً

فظهرت لهُ منرفا متنكرة وسألتهُ عن حالهِ فاجابها بتحيل قائلاً انني رجل غريب وقد ساقتني الرياح الى هنا ولم يعلم انها منرفا فضحكت واظهرت لهُ نفسها كما هي واخبرتهُ انهُ في بلادهِ وأرتهُ المغارة والزيتونة وذكّرتهُ بالمناظر التي حولهُ وبدّدت الضبابة عنهُ فعرف الاماكن التي كان فيها وقبّل الارض فرحاً . ثم دلّتهُ على مخابئ في المغارة يخبئ فيها هدايا الذهب والفضة والثياب التي اهداهُ اياها الفياشيّون واوصتهُ ان يسدّ المغارة بحجر لكي لا يسرقها احد

وقالت لهُ ان لا يذهب الى بيتهِ قاصداً ان تهلك الاشرار الذين كانوا يتردّدون الى بيتهِ في غيبتهِ وينتهبون امواله وينهبون امتعتهُ مدّة ثلاث سنوات . لانهُ لما رجع اليونان من تروادهِ ظنّ بعض الرؤساء ان عولس قد مات فارادوا ان يتزوّجوا بامرأتهِ پنلوپي لانها كانت على غاية الجمال . فاتى كثيرون منهم الى بيتها طالبين ان تتزوّج بواحدٍ منهم . واما هي فكانت تردّهم متأملةً ان يكون عولس حياً وان يرجع من سفرهِ .

ولما طال زمان تمنعها ولم يرجع عولس اجتمعوا يومًا والحّوا عليها الحاحًا شديدًا فقالت لهم اني اختار منكم من اريدهُ متى فرغت من نسج هذا المتاع فقبلوا فجعلت تحلُّ في الليل ما تنسجهُ في النهار حتى لا يكمل النسج لانها انما قالت ذلك لتتخلص من لجاجتهم .

واما هم فبقوا في القصر يأكلون ويشربون ويسكرون ويرتكبون المعايب والقبائح فاعترضهم تلياك بن عولس وتشكى من قبائحهم فاعتمدوا على قتلهِ لذلك ولانهُ ساح يفتش عن ابيهِ . فلو جاء عولس الى قصرهِ حال وصولهِ الى الشاطئ لقتلوهُ . ولذلك اخبرت منرفا عولس على ما قيل بما فعلوهُ من الشرور ليعاقبهم على قبائحهم وتعدّياتهم

قيل واخبرتهُ منرفا بما يفعل ومسّتهُ بعصاها فتجعَّد جلدهُ وتكمَّش فصار كجلد الشيخ ثم نزعت شعرهُ الجعد الطويل وغيَّرت هيئة عينيهِ فصارتا ضعيفتين بعد ان كانتا لامعتين والبستهُ ثوبًا رثًا قذرًا عوضًا عن لباسهِ الفاخر وارسلتهُ الى يُومِيُوس راعي خنازيرهِ وكان هذا الراعي يحبهُ ويحبُّ امرأتهُ وابنهُ كثيرًا وكان يبكي عليهِ متوجعًا ويشتاق الى رؤْيتهِ كانهُ ولدهُ

والمراد من ذلك ان عولس كان رجلًا حكيمًا بارعًا . فتزيَّا بزي رجل فقير يستعطي ليعرف الذين كانوا يخربون بيتهُ قبل

ان يعرفوا بقدومهِ وبما انهُ فعل ذلك بحكمة وحسن تدبير ادَّعى الشعراء ان الاهة الحكمة علمتهُ اياهُ لان اليونان كانوا يوقّرون الآلهة ويعتقدون انها تعلّم الناس وتساعدهم مع انهم لم يعرفوا الاله الحيّ الحقيقي . فان كانوا هم يعتقدون ذلك فكم بالاولى يجب علينا نحن ان نعتقدهُ عن الله الهنا الذي يعلّمنا ان نأتي اليهِ ويساعدنا لنأتي اليهِ ويقول لنا بفم رسولهِ "ان كان احدكم تعوزهُ حكمةٌ فليطلب من الله الذي يعطي الجميع بسخاء ولا يعيّر فسيُعطَى لهُ"

وذهب عولس متنكرًا الى بيت يُوميوس فهرّت عليهِ الكلاب التي كانت تحرس الخنازير وكادت تمزّقهُ بانيابها فزجرها يوميوس ولاطفهُ بالكلام ودعاهُ الى بيتهِ وقدّم لهُ طعامًا فاكل واستراح

ودار بينهما الكلام على امور كثيرة وعلى عولس من جملتها فاخبرهُ يوميوس بسيرة عولس كلها وبكى وتحسّر كأنَّ عولس قد مات . فسرَّ عولس من محبة عبيدهِ لهُ وثنائهم عليهِ . وهم انما احبوهُ لانهُ كان عادلاً محبًا لهم فان كل من يحبُّ الآخرين ويحسن لهم المعاملة يحبونهُ ويحسنون اليهِ المعاملة ايضًا وزد على ذلك ان هذا واجبٌ على كل واحد منّا لانهُ يرضي الله الذي يحبنا جميعًا

وقصّ عولس على يوميوس قصصًا كثيرة ولكنهُ لم يخبرهُ

شيئًا عن حقيقة حالهِ بل لفَّق لهُ القصص تلفيقًا ليخدعهُ مدَّةً . وكان الواجب عليهِ ان لا يفعل ذلك ولكنَّ اليونان لم يكونوا يحسبون الكذب اثمًا اذا افادهم لقضاء غاياتهم ولذلك وبخهم الرسول عليهِ لمَّا وصل الانجيل اليهم موصيًا اياهم ان يتركوهُ كما قيل "لذلك اطرحوا عنكم الكذب وتكلَّموا بالصدق كل واحدٍ مع قريبهِ" (١)

واخيرًا اخبرهُ بنفسهِ كما اخبر تليماك ابنهُ وقبل ذلك طلب اليهِ ان يدلَّهُ على بيت عولس فذهبا معًا ولما قربا من البيت رآهما كلبٌ كان لعولس قبل سفرهِ الى تروادة فعرف عولس واتى اليهِ زحفًا اذ كان قد عجز عن الركض لكبر سنهِ ودلَّى اذنيهِ ولاح ذنبهُ دلالةً على سرورهِ ثم وقع ميتًا من الفرح

وكان قصد عولس من الدخول الى قصرهِ بزيِّ رجلٍ يستعطي ان يرى بنفسهِ ما يجري في قصرهِ وان ينتقم من الاشرار الذين يتلفون مالهُ. فظلَّ يستعطي منهم اياما كثيرة ويحتمل اهاناتهم التي كانوا يهينونهُ بها زاعمين انهُ رجلٌ فقيرٌ ويرى قبائحهم ويسمع شتائمهم ويصبر عليها حتى يجيء الوقت المناسب . واخيرًا امر ابنهُ تليماك ان ينزع الاسلحة من القاعة التي كانوا مجتمعين فيها

---

(١) اف ٤: ٢٥

على وليمة ويضعها في غرفة عالية في القصر فلا يبقي سيفًا ولا رمحًا بالقرب منهم لانهُ كان قاصدًا ان يقتلهم جميعًا. وكان قلبهُ يشتعل فيهِ وهو صابر على قبائحهم كاتم خبرهُ عن امرأتهِ العزيزة پنلوبي

وفيما هو يفتكر كيف يقتلهم أُلهمت منرڤا پنلوبي ان تطلب منهم ان يحنوا قوس عولس التي كان يرمي بها السهام فلم يستطع احدٌ منهم على احنائها فطلب عولس ان يحنيها فشتموهُ وعنفوهُ بالكلام على وقاحتهِ وادعائهِ. ولكن پنلوبي اذنت لهُ فاخذ القوس واحناها امامهم جميعًا . ثم فوّق سهمًا ورماهُ بها فاصاب الغرض المقصود ونزع ثيابهُ عنهُ حينئذٍ ووقف بينهم والقوس بيدهِ وجعبةٌ ملآنة سهامًا امامهُ فالقى السهام تحت قدميهِ وقال مفتخرًا

"قد انقطع المقال وانفصل الجدال فلننظر هل اقدر ان أُصيب غرضًا آخر". ولما قال ذلك رمى عنق واحدٍ منهم بسهمهِ فوقع على الارض ميتًا. فخافوا جدًا وتهددوهُ بالقتل فاجابهم هازئًا

"خسئتم ايها الكلاب فقد ظننتم اني لا اعود وانتم تتلفون اموالي وتخطبون زوجتي ولا تخافون الآلهة ولا تخشون نقمة فقد جاءكم الهلاك". فزادوا خوفًا واصفرّت وجوههم وحوّلوا كل الملامة على الرجل الذي قتلهُ عولس وقدّموا لهُ عطايا . فأبى ان يقبلها فاستلوا سيوفهم وطلبوا القتال فقاتلهم عولس وتلياك



عولس یجنی قوسه

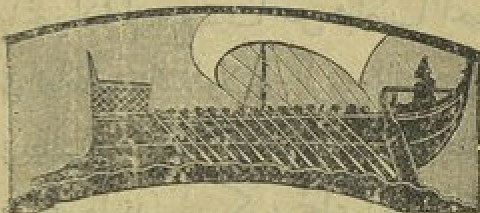
و بوميبوس وقتلوهم جميعًا

ولمّا عرفتهُ امرأتهُ طار قلبها فرحًا وركضت اليهِ باكية مرتجفةً ووقعت على عنقهِ وقبّلتهُ وبكى عولس معها وقبّلها وذهبت عنها احزانها وغمومها واطمأنّ قلبها برجوع زوجها الذي كانت تحبهُ وتقضي الايام والسنين في البكاء عليهِ وامنت شرّ اولئك الانذال الذين ملأوا قصرها اثمًا وشرًّا

ووصل عولس الى بيتهِ سالمًا واستراح من جميع اتعـابهِ باتباعهِ مشورة الحكمة وهـذا ما يريدهُ الشعراء بقولهم منرفا . واستفاد من اخطارهِ فوائد عديدة وزاد بالتجارب والاخطار حكمةً وفهمًا كما نزيد نحن اذا عركنا الدهر وتعلمنا ما يعلّمنا اياهُ

واعلموا هذا ايها الاولاد ان عولس لم يعرف الامور العظيمة التي نعرفها نحن لانهُ لم يسمع شيئـًا عن مخلصنـا الحبيب الذي يشاركنا في اتعابنا وشدائدنا ولا عن الروح القدس الذي يعطيهِ الله للذين يطلبونهُ منهُ. فاذا كان عولس مع جهلهِ هذين الامرين العظيمين وغيرهما يقدر ان يكون شجاعـًا فاضلاً صبورًا على احتمال التجارب و يزيد فضلاً وحكمةً بما يتعلمهُ منها فكم بالاولى يجب علينا نحن ان نصبر عليها ونزيد بها حكمةً وفضلاً وصلاحًا بعد ان اعلن الله تلك الامور لنا

ان اليونان كانت شجاعتهم وفضائلهم بقدر معرفتهم واما نحن فقادرون ان نكون احسن مما كانوا كثيراً . فحبّذا الصعوبات التي تعرض لنا وحبذا الاحزان التي نلاقيها ان كنا نقاومها حتى نقوى عليها ونحتملها بالصبر وروح المحبة والرجاء التي لم تكن موجودةً في اليونانيين لانها تؤُول حينئذٍ الى افادتنا وتعليمنا وترقيتنا في الفضل والصلاح. والله يعطينا القوة والحكمة والصبر اذا سألناهُ اياها فلنطلب نعمتهُ من صميم قلوبنا



سفينة حربية يونانية

الفصل السابع

في الالعاب اليونانية



مُحاضِر

من يطالع تواريخ اليونان، واخبار رجالهم وابطالهم المشهورين يجدها مشحونة بذكر الالعاب اليونانية الآتي وصفها. وقد شاعت هذه الالعاب في الازمنة المتأخرة حتى انها كانت تقام في كل مدينة من مدن اليونان وآسيا الصغرى تقريباً مع انها لم تكن تُقام في اول امرها الا في اربعة اماكن: بقرب هيكل دلفي وفي وادي نيميا وعند برزخ كورنثوس وعند مدينة اولمبيا. ويُقال للاولى الفيثيَّة وللثانية النيمية وللثالثة الإسميَّة (اي البرزخيَّة نسبة الى الإسمُوس اي البرزخ) وللرابعة الاولمبيَّة. واعظمها الاسميَّة والاولمبيَّة

قيل ان الالعاب الفيثيَّة انشأها أبلّو عند ما ذبح الثعبان فيثون. والنيميَّة انشأها هرقل بعد ما ذبح الاسد النيمي. والاسميَّة

جدَّدها ثيسيوس بعد ما ذبح اللصوص المار ذكرهم . والاولمبيةُ انشأها هرقل ايضاً والصحيح انها قديمة جداً الا يُعلَم وقت انشائها. وبما انها الاقدم والاشهر اخترنا ان نصفها في هذا الفصل

كانت الالعاب الأُولمبيَّة تُقام بقرب مدينة اولمبيا كما تقدَّم. وسُمّيت هذه المدينة اولمبيا نسبة الى اولمپُس وهو جبل في ثساليا كان يُظَن انهُ مسكن الآلهة وبما أن زفساً (المشتري) هو رئيس الآلهة على زعمهم دُعي زفس الأُولمبي . ثم بُني لهُ هيكل عظيم في أَلِيس فسُمّيت المدينة التي أُقيمت حول هذا الهيكل أولمبيا مع انها تبعد عن جبل أُولمُبس بعداً شاسعاً

وكان هذا الهيكل من اعظم هياكل اليونان فان طولهُ ٢٣ قدماً وعرضهُ ٩٥ قدماً وارتفاعهُ ٦٨ قدماً وهو مبنيٌّ من المرمر الپاري[1] الفاخر ويحيط بهِ رواقٌ من اعمدة المرمر البديعة الصنعة. وجدرانهُ مزدانة بالنقوش والتماثيل وابوابهُ مصوغة من النحاس الاصفر . وكان فيهِ تمثال زفس الذي صنعهُ فيدياس اشهر نقَّاشي اليونان ارتفاعهُ ستون قدماً وهو جالسٌ على عرش من العاج والذهب مُزدان بالنقوش ومرصَّع بالحجارة الكريمة وعلى رأسهِ اكليل من الزيتون وفي يمينهِ تمثال النصر وفي يسارهِ

(١) نسبة الى پاروس جزيرة في بحر ايجه اشتهرت بجودة مرمرها

صولجان مصوغ من كل المعادن الثمينة . والتمثال نفسهُ اكثرهُ من العاج وثوبهُ ونعلاهُ من الذهب . وكانوا يمسحونهُ بالزيت المقدَّس على الدوام فيعكس نور الشمس عند ما تقع عليهِ حتى قال اليونان ان الذي يراهُ يظنهُ رفساً نفسهُ

ويحيط بالهيكل بستان الزيتون المقدَّس الذي كانت تُصنَع منهُ الاكاليل ليكلَّل بها المنتصرون في تلك الالعاب . وبقرب البستان ميدان المحاضرين عدواً ومضمار المتسابقين في المركبات ومدينة اولمبيا واقعة بينهما وبين نهر الفيوس

ولم تكن هذه الالعاب مثل العاب الفتيان بل كانت مثل المجالدة والمصارعة . ولم يكن يُسمح بها الاَّ للرجال والشبان ولا ينتصر فيها الاَّ القوي الحاذق المتروّض جيدًا. وكانت المحاضرة (اي المسابقة عدواً) اشهرها ثم المصارعة فالمقاذفة فالملاكمة . وأُضيف اليها بعدئذٍ المسابقة في المركبات. وبعض الاحيان كانت تُعطى الجوائز للشعراء والخطباء ولكن المحاضرة كانت اكثرها اعتباراً في عيونهم واليها يشير الكتاب المقدَّس كما سيجيء

ولم تكن هذه الالعاب تُقام الاَّ مرَّة كل اربع سنوات ولذلك جرت عادة اليونان ان يقسموا الزمان الى اولمبيادات وكل اولمبياد اربع سنوات . ولم يُسمح لأحدٍ ان يشترك فيها الاَّ اذا كان يوناني

المولد حسن الاخلاق طيِّب النسب . وكان على المشتركين فيها ان يروّضوا اجسادهم استعداداً لها مدّة عشرة اشهر قبل قيامها وان لا يحتالوا على الفوز فيها احتيالاً والاّ عُوقبوا عقاباً صارماً . وكانوا يذهبون قبل المحاضرة الى امام هيكل زفس ويحلفون انهم لا يستخدمون الحيلة لاحراز الجعالة بل يجرون بموجب سنن الالعاب تماماً . ثم يأتون الى الميدان وهو فسحة من الارض مفروشة بالرمل طولها نحو ست مئة قدم. فينادي المنادي قائلاً "هل من احدٍ يعيب هولاء المحاضرين بأنهم مستعبدون لاحد او عائشون عيشة غير لائقة". فاذا لم يتصدَّ احدٌ لذلك أُذِن لهم ان يحاضروا . وحينئذٍ يجتمع عليهم اصدقاؤهم يشجعونهم وينصحونهم الى ان يجيء الوقت للشروع في المحاضرة فيقفون في اوَّل الميدان صفاً واحداً بعد ان يخلعوا اثوابهم لئلاً تعيقهم ويصوّبوا عيونهم وعقولهم نحو الغرض الذي يحاضرون لاجلهِ وحينئذٍ يبوّق البوق فيندفعون اندفاع السيل والناس يزدحمون حول الميدان وينادونهم باعلى اصواتهم لكي يشجعوهم. ثم يقع واحد من المحاضرين وهو عادٍ فيضجُّ الجمهور بالضحك عليهِ ولكنَّ المحاضرين لا يلتفتون اليهِ ولا يلوون على احد لانهم يعلمون انهم اذا اضاعوا خطوة واحدة اضاعوا الجعالة . ولا يزالون

يعدون حتى يدنوا من حدّ الميدان حيث يجلس القاضي فيتقدَّم واحدٌ منهم على رفقائهِ ويجتاز الحدَّ قبلهم فيضج الجمهور كلهُ باصوات الفرح والتهليل ويُعطى ذلك الرجل سعف النخل علامة الظفر ويحدق بهِ انسباؤُهُ واصدقاؤُهُ ويعانقونهُ بدموع الابتهاج. ثم يرفعونهُ على اكتافهم ويجتازون بهِ بين الجمهور فيعلو الضجيج ويتجمع الناس حولهُ يهنئونهُ ويرمونهُ بالازهار. فيستعزُّ بحلاوة الظفر لان هذه الغلبة تكون فخرًا لهُ ولوطنهِ مدى حياتهِ وبعد موتهِ ايضًا. وعند ما تنتهي الالعاب يُكلَّل ويُلبَس حُلَّةً فاخرة ويسير هو وكل الغالبين الى المرسح وهم بالاكاليل وسعوف النخل والحُلل الفاخرة والناس من حولهم يضجُّون بالتهليل وتتبعهم الخيول والمركبات التي احرزت قصب السبق مزدانة بالازهار البديعة حتى اذا بلغوا المرسح بوّق المبوق ونادى المنادي باسماء الذين احرزوا قصب السبق واسماء مدنهم فتعلو اصوات الجمهور ويرشقونهم بالازهار والاكاليل ثم يضحُّون الضحايا للآلهة وتُسجَّل اسماؤُهم في سجلٍّ ليبقى ذكرهم الى الابد. وبعد ذلك يذهبون مع اصدقائهم الى الولائم الفاخرة التي يولمونها لهم

وعند ما يعودون الى مدنهم يخرج اليهم الناس ويلاقونهم باصوات الفرح واغاني الظفر. وقد يثغرون لهم ثغرة في الاسوار

لكي يدخلوا منها دخول الفاتحين. ويقيمون لهم التماثيل ويتغنى الشعراء بمدحهم . واحسن اشعار بِنْداروس الشاعر اليوناني نظمها في مدح الظافرين في هذه الالعاب

قيل انهُ طُلِب منهُ مرةً ان ينظم قصيدةً في مدح پيثياس الذي احرز قصب السبق في الالعاب النيمية فطلب مالاً كبيرًا فاستعظم اصدقاء پيثياس هذا المال وقالوا اننا نقيم لهُ تمثالاً من النحاس بمال اقل منهُ . ثم لما تروَّوا في المسأَلة قالوا ان القصيدة احسن من التمثال فاعطوهُ المال الذي طلبهُ . فافتتح القصيدة بقولهِ انهُ ليس صانعًا للتماثيل التي لا تُرَى الاَّ حيث تُنصَب بل ناظم اشعارًا تطير في الآفاق وتطير معها شهرة پيثياس الذي نال تاج الظفر . فكان كما قال

وحدث مرةً في هذه الالعاب حادثٌ لهُ وقعٌ عظيم في نفوس الناس وهو ان ابنَي دِياغُوراس الذي حاضر في شبابهِ وحاز اكليل الظفر اتيا الى اولمبيا وحاضرا في ميدانها ونالا اكليل الظفر ايضًا. فاسرع ابوهما الشيخ ليهنئهما بذلك فاعتنقاهُ ونزعا الاكليلين عن رأسيهما ووضعاها على رأسهِ ثم حملاهُ على كتفيهما كأنهُ هو الظافر واجتازا بهِ في الميدان فحيَّاهُ الجمُّ الغفير باعلى اصواتهم لان اليونان يكرمون الشيوخ وقالوا لهُ مُت الآن



دياغوراس وابناهُ

يا دِياغُوراس لانك بلغت اقصى امانيك . فغلب عليهِ الفرح حتى انهُ احنى رأْسهُ على كتف ابنهِ الاكبر واسلم الروح

وربما تقول على مَ كانوا يعتبرون اكليل الزيتون بهذا المقدار ويتعبون لاجلهِ هذا التعب؟ أَكان اكليل الزيتون كلّ غرضهم؟ كلاَّ بل ان غرضهم كان ما يشير اليهِ ذلك الاكليل لان كل احد يستطيع ان يقطع غصناً من الزيتون متى اراد ويصنع منهُ اكليلاً ولكن ذلك الاكليل كان علامة الغلبة وسمة الافتخار كما تقدَّم وكأَنَّ لسانَ حالهِ يقول عن كل مَن كُلِّل بهِ " هذا الرجل شجاع حاذق انكر على نفسهِ لذَّاتها لكي يحرز هذا الاكليل وعاش عيشة العفاف والاستقامة ولولا ذلك لم يُبَح لهُ ان يحاضر " . والاجدر بالانسان ان يحرز هذا الاكليل من ان يحرز الذهب والاجدر بهِ ان يكون حاذقاً شجاعاً عفيفاً جسوراً كما كان هولاء الظافرون من ان يحرز اثمن الجوائز بدون هذه المناقب

عند الجيش الانكليزي صليب صغير من نحاس اسمهُ صليب فكتوريا مكتوب عليهِ For Valour اي لاجل البسالة وهو يُعطَى لكل باسل سواء كان من عامة الجند او من الروءساء . قال بعضهم رأَيت جنديًّا متقلدًا صليبًا من هذه الصلبان فوقفت وسأَلتهُ عن السبب الذي احرز لاجلهِ هذا الصليب فقال انهُ

اختطف قنبلة من الخنادق ورماها الى بعيد ولاجل ذلك جوزي بهذا الصليب . ونعمَ ما عمل لانهُ لو لم يخاطر بنفسهِ ويختطف تلك القنبلة ويرمها الى بعيد لانفجرت حيث كانت وقتلت كثيرين . وكان جزاؤهُ صليباً نحاسياً بخس الثمن من حيث معدنهِ ولكنهُ جزيل القيمة من حيث انهُ علامة للبسالة ودليل على انكار الذات . فما دام هذا الجندي حياً يقدر ابواهُ ان يقولا ان ابننا شجاع احرز ببسالتهِ صليب البسالة . وبعد ما يموت يقول اولادهُ كان ابونا رجلاً باسلاً وهوذا صليبهُ . نعم ان في هذه الدنيا اشياء كثيرة اجدر بالاحراز من المال والبيوت والاراضي وهي الحق والشجاعة والصبر والشرف . وقد اصابت ملكة الانكليز ومشيروها في عمل هذا الصليب الذي لا قيمة لهُ في نفسهِ بل في مدلولهِ . وذلك الاكليل الذي كان يُصنَع من اغصان الصنوبر او الزيتون ويذبل بعد ايام قليلة كان اثمن من كل ثروة اليونان لانهُ يعزُّ على كل احد احرازهُ الاَّ على من استحقهُ . ولا يمكن ابتياعهُ بشيء من المال

ويوجد اكليل افضل من هذا الاكليل واسمى ونحن مدعوُّون لاحرازهِ ولكن السبيل اليهِ ليس قصيراً نقطعهُ في بضع دقائق بل طويل يقتضي حياتنا كلها . وهو يبتدئُ حينما نعقد قلوبنا على

خدمة الله والسير في سبُلهِ وينتهي عندما نبلغ المجد الابدي

وكثيرًا ما اشار الرسول بولس الى هذه الالعاب وشبَّه حياة المسيحي في هذه الدنيا بها من ذلك قولهُ "ألستم تعلمون ان الذين يركضون في الميدان جميعهم يركضون ولكن واحدًا ينال الجعالة هكذا اركضوا لكي تنالوا "(١). وقال في مكان آخر " ان الملائكة وارواح الابرار المكملين محدقون بالمسيحيين وناظرون سيرهم في جهادهم المسيحي" الى ان يقول "لذلك نحن ايضًا اذ لنا سحابة من الشهود مقدار هذه محيطة بنا لنطرح كل ثقل" كما يطرح المحاضرون اثوابهم "ولنحاضر بالصبر في الجهاد الموضوع امامنا ناظرين الى رئيس الايمان ومكمّلهِ يسوع "(٢). ولما دنا اجلهُ التفت الى الماضي ونظر الى المستقبل الى الحياة المجيدة التي بعد القبر وقال كما يقول المحاضر في هذا الميدان عندما يبلغ حدّهُ " اكملتُ السعي واخيرًا قد وُضع لي اكليل البرّ الذي يهبهُ لي في ذلك اليوم الرب الديّان العادل "(٣). وكان قبل ذلك قد قال لاهل افسس انهُ لا يحتسب لشيء لاجل المسيح حتى يتمم بفرح سعيهُ(٤) اما الآن فكان نيرون الظالم مزمعًا ان يقتلهُ ولكنهُ

(١) ١ كو ٩: ٢٤ (٢) عب ١٢: ١ و٢ (٣) ٢ تي ٤: ٧ و٨

(٤) اع ٢٠: ٢٤ قابل في ص ٢

رأى نفسهُ كمحاضر حاز قصب السبق وقارب ان يُكلَّل باكليل الظفر

اما الاكليل الموعودون نحن بهِ فاكليل مجيد جداً ليس مصنوعاً من اغصان الصنوبر والزيتون ولا من الغنى والشرف الدنيوي بل هو اكليل البرّ اكليل الحياة[1] اكليل الغلبة التي ننالها بالمسيح

ان الشهرة الدنيوية والاكاليل الدنيوية لابدَّ ان تفنى ولكن هذا الاكليل يدوم الى الابد لانهُ اكليل المجد الذي لا يبلى[2]

لما كان الرسول يوحنا في جزيرة بطمس رأى في رؤياهُ الذين جاهدوا الجهاد الحسن مثل بولس واكملوا سعيهم فقال "نظرت واذا جمع كثير لم يستطع احد ان يعدَّهُ من كل الامم والقبائل والشعوب والالسنة امام العرش وامام الخروف متسربلين بثياب بيض وفي ايديهم سعف النخل"[3]. والرب يسوع المسيح يقول لكل واحد من المؤمنين "كن اميناً الى الموت فساعطيك اكليل الحياة"[4]

فمن لا يحاضر لينال هذا الاكليل — مَن لا يحاضر ليهدحهُ

---

(١) رؤ ٢: ١٠ (٢) ١بط ٥: ٤ (٣) رؤ ٧: ٩
(٤) رؤ ٢: ١٠

المسيح الديّان ويأخذ سعف النخل والحلة والاكليل من يدهِ .
هولاء الرجال اليونانيون كانوا يجاهدون لكي يأخذوا اكليلاً يفنى واما نحن فاكليلاً لا يفنى"(١) . كانوا يصبرون وينكرون انفسهم ليكسبوا المدح من الناس واما نحن فلكي نكسب المدح من الله .
هوذا الميدان امامنا — الطريق الضيق الذي يؤدّي الى الحياة الابدية ومخلّصنا المجيد واقف فيهِ ينشّطنا باقوالهِ الطيّبة ويرينا الجعالة التي اعدّها لنا ويعيننا في كل جهادنا حتى ان كل من سعى السعي الحسن ينال اكليل المجد" فلنحاضر بالصبر في الجهاد الموضوع امامنا ناظرين الى رئيس الايمان ومكمّلهِ يسوع"

نفسي اسهري وحاضري واستنصري بالربِّ
فانما التاجُ لكلِّ فائزٍ في الحربِ

---

(١) ١ كو ٩:٢٥

الفصل الثامن

قصة صولون وكريسس


اغنى الملوك

كان كريسُس ملك ليديا اغنى ملوك الارض بالذهب والفضة والجواهر والخيل والمواشي وكانت اراضيهِ خصبة تأتيهِ بخيراتها الكثيرة من الحنطة والخمر والزيت حتى انهُ عدَّ نفسهُ اسعد البشر . وكان الناس يتقاطرون اليهِ من كل فجّ ليروا كنوزهُ لان صيتهُ طار في الآفاق . وفي نحو ذلك الوقت اشتهر صولون المشترع اليوناني الحكيم لاجل حكمتهِ كما اشتهر كريسُس لاجل ثروتهِ . فارسل كريسُس يستدعيهِ اليهِ الى ليديا ليراهُ لان صولون خرج من اثينا بعد ان سنَّ شرائعهُ لئلا يضطرهُ الاثينويّون الى تغييرها واقام مدَّةً في مصر . فلبَّى دعوتهُ واتى الى سرديس مدينة الملك كريسس . ولما بلغها انذهل

مما رآهُ فيها لانها كانت من افخر مدن الدنيا وفيها قلعة مبنية على قمة صخر شاهق يحيط بها ثلاثة اسوار وضمنها قصر الملك وبيت مالهِ . والمدينة كلها غاصّة بالمباني الفاخرة والحدائق النضرة لان كريسس لم يترك واسطة من وسائط الابّهة والترف الاَّ متّع نفسهُ بها . وكان يقيم في قصرهِ محفوفاً بالامراء والاشراف وكلهم بالحلل الفاخرة حتى ظنَّ صولون ان كل واحد منهم هو الملك

ولما مثل صولون بين يدَي الملك نفسهِ ورآهُ مرتدياً بافخر الحلل واثمنها لم يلتفت الى حللهِ ولا نظر الى مجدهِ وأبّهتهِ بعين الاندهال فلم يرُق ذلك في عينَي الملك لانهُ كان يحبُّ ان يرى الحكماء والفهماء الذين يدخلون قصرهُ يعجبون بغناهُ ويطلقون ألسنتهم في مدحهِ . ولكنهُ قال في نفسهِ اذا رأى صولون خزائني يتغيَّر رأيهُ فيَّ . فامر ان يُطاف بهِ في القصر كلهِ لكي يرى قاعاتهِ الرحبة واثاثهُ الفاخر وصورهُ الثمينة وتماثيلهُ المصوغة من الذهب والفضة والعاج ويرى ما في الخزائن من الاموال الكثيرة والجواهر النفيسة والآنية الذهبية والفضيّة

فرأى صولون كل ذلك ولم يعبأ بهِ . فقال لهُ كريسس "ايها الضيف الاثينوي" قد اتصل بنا صيتك وما حزتهُ من الحكمة وسافرتهُ من الاسفار فهات اخبرنا من هو اسعد انسان رأيت". قال

ذلك وهو يظن ان صولون لم يرَ اسعد منهُ . ولكنَّ صولون تكلم الحقَّ وقال "هو تلوس الاثينوي" . ولم يكن كريسس يعرف شيئاً من امر تلوس فاغتاظ لان صولون لم يقل لهُ انت اسعد الناس ولكنهُ كظم غيظهُ وقال لهُ "ومَن هو تلوس هذا؟" فقال صولون "هو رجل عاش في بلاد محكومة بشرائع عادلة وكان لهُ اولاد برور بهِ ولم يمت حتى رآهم تزوَّجوا واخلفوا اولاداً . وبعد ان عاش سعيداً قدر ما يستطيع الانسان ان يعيش سعيداً في هذه الدنيا مات شريفاً وهو يحارب عن وطنهِ ومكرَّماً من الجميع"

فقال كريسس وهو يتبسم "ومن هو الذي يتلوهُ في السعادة" ظاناً انهُ يقول "انك انت التالي" فقال صولون "الأَخوان كليبيوس وبيتوس اللذان من ارغوس فانهما من ذوي الثروة والقوَّة وقد انتصرا في الالعاب وكان يحب احدهما الآخر محبة شديدة وكلٌّ منهما كان برًّا بوالديهِ . ويظهر ذلك من انَّ امهما(١) ارادت مرَّةً ان تذهب الى هيكل يونو ولم تكن الثيران مُعَدَّةً لجرّ المركبة فوقفا موضع الثيران وجرَّا المركبة بها ٤٥ ستاديا(٢) فطوَّبها النساء واثنى الرجال على ابنَيها . اما هي فوقفت امام تمثال الإلاهة يونو وهي في معظم فرحها وطلبت منها ان تمنح ابنَيها اعظم بركة يمكن

(١) واسمها سيدبي وكانت كاهنة لهيرا اي يونو (٢) نحو ستة اميال

منحها للبشر وكان ابناها قد انهكهما التعب فناما في الهيكل وماتا فظهر من ذلك ان الموت افضل للناس في اعتبار الآلهة من الحياة. واقام لهما الشعب تمثالين في دلفي تذكاراً لتقواهما"

وعلى هذا الاسلوب علّم صولون الملكَ كريسس ان "الصيت افضل من الغنى العظيم والنعمة الصالحة افضل من الفضة والذهب"(١) وان الموت افضل من الحياة عند اولاد الله كما قال الرسول بولس "لي اشتهاء ان انطلق واكون مع المسيح ذلك افضل جداً"(٢)

فاغتاظ كريسس من ذلك غيظاً شديداً لانهُ كان يعجب بعظمتهِ وغناهُ وقال لصولون "أَتحتقر سعادتي بهذا المقدار حتى انك تفضّل عليها سعادة اناس مثل هولاء". فقال صولون "يظهر لي ايها الملك كريسس انك حائزٌ غنىً وافراً وحاكمٌ على امم كثيرة اما من جهة طلبتك فلا يمكنني ان اجيبك حتى ارى انك اكملت ايامك سعيداً لان اغنى الناس ليس اسعد ممَّن لهُ كفافهُ ان لم يدم غناهُ الى موتهِ. وفوق ذلك ان كثيرين حائزون غنىً وافراً وهم تُعساء وكثيرون ليس لهم الاَّ القليل وهم سُعَداء. والبعض قد حازوا الحظَّ الاوفر من هذه الموهبة او تلك فاذا تمتعوا بهِ حتى

---

(١) ام ٢٢: ١ (٢) في ١: ٢٣

وفاتهم فهم الاسعد على ما ارى. لذلك علينا ان ننظر الى العاقبة لان من النـــاس من خدمهم السعد مدةً ثم تخلّى عنهم فماتوا في اشد التعاسة"

وكأنّ صولون قد علّم كريسس قول الكتاب القائل " انهُ متى كان لاحدٍ كثيرٌ فليست حياتهُ من امواله "[١] ولكنهُ لم يستطع ان يرشدهُ الى مصدر السعادة الحقيقية وهو فضل الله الذي ظهر بالفادي يسوع المسيح

فلم ترُق هذه الاقوال في عينَي كريسس لانهُ لم يشأ ان ينظر الى الموت ولم يردْ ان يفتكر انهُ يأتي وقت يُعدَم فيهِ كل مملكتهِ وغناهُ . فصرف صولونَ فارغاً ولم يعطهِ شيئاً فخرج من القصر ولم يعُدْ يراهُ ولكن لم يمضِ وقت طويل حتى اضطرَّ ان يفتكر بكلامهِ ويرى صدق مقالهِ كما سيجيء

وكان لكريسس ابنٌ اسمهُ اتيس جميل المنظر يفوق كل شبان عصرهِ شجاعةً ويُفضَّل عليهم كلهم في الحرب والصيد . وفي احدى الليالي حلم كريسس ان ابنهُ هذا قُتِل بطعنة رمح فخاف ان يتمَّ حلمهُ ومنعهُ عن الخروج الى الحرب والقنص وامر ان تنزَع كل الرماح والحراب من طريقهِ لئلا تقع عليهِ وتقتلهُ ثم زوّجهُ

(١) لو ١٢: ١٥

اميرةً جميلةً متأملاً انهُ ينقطع بذلك عن الخروج الى الحرب والقنص ويصير يحب القيام في قصرهِ. وفيما كانت ولائم العرس قائمة اتى رجل من فريجية اسمهُ أدْرَستُس واستجار بكريسس وكان هذا الرجل قد قتل اخاهُ غير متعمّدٍ فطردهُ ابوهُ من بيتهِ. فاجارهُ الملك كريسس وانزلهُ في قصرهِ

وحدث في ذلك الوقت ان خنزيرًا بريًّا ضخم الجثة هائل المنظر ظهر في ميسيا ونزل من الجبال وعاث في الحقول والكروم فحاول اهالي ميسيا قتلهُ مرارًا كثيرة ولمَّا لم يستطيعوا اتوا الى الملك كريسس وتوسلوا اليهِ ان يرسل ابنهُ مع بعض الصيادين لطرد هذا الخنزير من البلاد. فقال لهم "لا تنتظروا خروج ابني لانهُ قد تزوَّج حديثًا فلا يستطيع الخروج من بيتهِ ولكني سابعث اليكم ببعض الليديين ومعهم كلاب الصيد فيطردون هذا الوحش من البلاد". قال ذلك لانهُ كان يخاف ان يرسل ابنهُ فيصيبهُ رمحٌ من احد الصيادين فيقتلهُ

فلما بلغ ابنهُ ذلك أتى اليهِ وقال لهُ "يا أبتِ انك في ما مضى كنت ترسلني الى الحرب والصيد وانا الآن لست اضعف ممَّا كنت قبلاً ولا اقلّ بسالةً فان كنت تحبسني في البيت يحتقرني الابطال وتزدري بي امرأتي فاسمح لي ان اخرج الى صيد هذا

الوحش والاَّ فاخبرني عن السبب الذي تمنعني لاجلهِ عن الخروج
فاخبرهُ كريسس بالحلم وبيَّن لهُ انهُ يمنعهُ عن الخروج لا طعنًا بشجاعتهِ بل خوفًا على حياتهِ فقال اتيس اني غير خارج لمحاربة الناس بل لصيد حيوانٍ بريٍّ لا يستطيع حمل السلاح فلا خوف ان يصيبني احدٌ برمحٍ. وما زال يتوسل الى ابيهِ حتى سمح لهُ بالخروج ثم ارسل الى أدرستس الفريجي وقال لهُ " اني أجرتُكَ في ضيقك وبرَّأتك من ذنبك واعطيتك كل ما تحب والآن اطلب منك ان تعتني بابني بدلاً من احساني اليك ولا تدع احدًا يوقع بهِ ضررًا مدَّة الصيد . وبما انك لم تزل شابًا فعليك انْ تخرج الى هذا الصيد وتظهر بسالتك وتقيم لك اسمًا " . فقال أدرستس ان مَن كان مثلهُ لا يحقُّ لهُ ان يشترك في هذه المفاخر ولكنهُ يذهب في خدمة اتيس ويعتني بهِ مقابلة لاحسان الملك اليهِ ثم قال لهُ " وكن على ثقة ان ابنك سيرجع اليك بدون ان يقع بهِ ضرر "

فخرج أتيس وأدرستُس ونخبة من الصيادين الليديين بكلابهم ورماحهم واتيس اطيبهم نفسًا لانهُ مضى عليهِ وقت طويل لم يخرج فيهِ الى الصيد . ولما انتعشت نفوسهم باستنشاق هواء الجبال الطيِّب اخذ الكلاب والصيَّادون يفتشون عن الخنزير حتى وجدوهُ فاحاطوا بهِ وسدَّدوا نحوهُ رماحهم وجعلوا يرمونهُ

بها وكان أُدرستُس بين الذين رموهُ برماحهم الّا ان رمحهُ اصاب اتيس ابن الملك فوقع لساعتهِ ميتاً وتمَّ حلم ابيهِ

فذهب المخبر حالاً واخبر اباهُ بذلك فرفع صوتهُ بالبكاء والعويل وفيما هو يبكي بمرارة نفس اتى الصيّادون يحملون جسد اتيس ومعهم ادرستُس يبكي و يندب مصابهُ . ولما مثل امام الملك انطرح على قدميهِ وقال لهُ "اقتلني ايها الملك لاني لا اريد ان اعيش بعد الآن". فشفق عليهِ كريسس وعزَّاهُ عن مصابهِ وقال لهُ "ما قُدِّر كان فلا لوم عليك". ولكنَّ أُدرستُس لم يجد للسلوى مكاناً فلبث حتى دُفن اتيس ثم قتل نفسهُ على قبرهِ

وظلَّ كريسس يندب ابنهُ سنتين كاملتين وحينئذٍ عرف صدق قول صولون القائل ان الغنى والقوَّة والمجد لا تكفل دوام السعادة

ثم مرَّت السنون واقبلت المصائب على كريسس فانهُ فتح حرباً على كورش ملك الفرس لانهُ لم يكتفِ بما اعطاهُ الله من الغنى والقوَّة. وارسل قبل الحرب يستشير الكهّان وقال لرسلهِ ان يسألوا كاهن دلفي بعد خروجهم من عندهِ بمئة يوم عمّا كان يفعلهُ في ذلك اليوم فكان جوابهُ لرسلهِ "اني اعرف عدد الرمل وكيل البحر وافهم افكار الاصم واسمع الابكم — رائحة السلحفاة المسلوقة في

النحاس مع لحم الحملان بلغت مشاعري". قبل وكان كريسس قد سلق ذلك اليوم حملاً وسلحفاة في مرجل من نحاس فلما اتاهُ هذا الجواب قال ان كهّان دلفي اصدق الكهّان فاهدى لهيكل دلفي هدايا ثمينة واستشارهم في حرب كورش فكان الجواب "اذا غزا كريسس الفرس يخرب سلطنة عظيمة". فظن كريسس ان معنى ذلك انهُ يخرب سلطنة الفرس ولم يعلم انهُ يخرب سلطنتهُ

ثم تقدَّم اليهِ واحدٌ من رعاياهُ وكان حكيماً جدًا وقال لهُ "ايها الملك انك خارج الى حرب قوم يلبسون الجلود ويسكنون القفار فان غلبتهم لم تربح شيئًا وان غلبوك خسرت كل شيءٍ". وبمثل هذا الكلام كان ينصحهُ ليعدل عن حرب الفرس فلم يلتفت الى نصحهِ بل خرج بجيشهِ وحارب كورش فتغلَّب كورش عليهِ وهرب هو ورجالهُ الليديُّون الى سرديس وتحصَّنوا بها فتبعهم الفرس وفتحوا سرديس بعد ان حاصروها اربعة عشر يوماً واخذوهُ اسيرًا. وامر كورش بهِ ان يُحرَق حيًا ولما وضعوهُ على الحطب تذكَّر اقوال صولون الذي قال لا يُعدُّ الانسان سعيدًا بالحقيقة ما دام حيًا فصرخ "صولون صولون صولون" فسمعهُ كورش وارسل يسألهُ عن امرهِ فاخبرهُ بما قالهُ لهُ صولون عند ما اراهُ كل غناهُ ومجدهِ. فرقَّ كورش لهُ وعفا عنهُ وقرَّبهُ منهُ و بالغ في



کریسُس امامِ کورش

اكرامهِ . قيل ان كريسس كان حينئذٍ اسعد مما كان عندما عدَّ نفسهُ اسعد انسان لاجل وفرة ثروتهِ وقوَّتهِ

حقًّا ان الصلاح افضل من العظمة والسعادة الحقيقية افضل من الغنى . ولكن ما السبيل الى السعادة الحقيقية . ان كريسس ظنَّ نفسهُ سعيدًا لانهُ كان اغنى الملوك واقواهم ولكن لما قُتِل ابنهُ حسب كل ثروتهِ كلا شيءٍ ولا بدَّ لكل انسان ان يرى عاجلًا او آجلًا ان لا شيءَ في هذه الدنيا يسعدهُ سعادة حقيقية

يصلح ان يكون للانسان غنى وقوة واصحاب . واذا سمح الله له بهذه الاشياء فعليه ان يتمتع بها شاكرًا الله لاجلها ولكن يجب ان لا يعتمد عليها ولا يتوقع السعادة منها وحدها فانهُ توجد سعادة اثبت واشرف من السعادة التي يجدها الانسان في اعراض هذه الدنيا وهي سعادة النفس سعادة محبة الله والطاعة لهُ . ما من شيءٍ من الالعاب يسعد الولد وهو عاصٍ على والديهِ ومعتدٌّ بنفسهِ . وما من شيءٍ من الغنى يسعد الانسان اسعادًا حقيقيًا وهو لا يحب الله ولا يخدمهُ . السعادة الحقيقية انما هي ان يحب الانسان الله ويثق بهِ كما يثق الابن بابيهِ ويشعر من نفسهِ ان الله يحبهُ وان يسوع المسيح مخلّصهُ وانهُ مهما حدث لهُ في هذه الدنيا فلهُ فرح

حقيقي لا يُنزَع منهُ وحياة خالدة لا تزول . وهذه السعادة اعظم جدًّا من سعادة كريسس الذي حسب نفسهُ اسعد انسان على وجه الارض



هيكل الالاهة اثينا (مينرفا) على اكمة الاكروبولس في اثينا

الفصل التاسع

واقعة ترموبيلي


جندي فارسي

لما استتب المُلك لزركسيس ملك الفرس جمع جيشاً جرّاراً لغزوة اليونان وكان في هذا الجيش رجال من كل الامم والقبائل — فرسٌ بدروعهم الحديدية واشوريُّون بخوذهم النحاسيَّة ونبابيتهم الحديدية وبكتريُّون بعمائمهم وقسيهم ومزاريقهم وهنود بثيابهم القطنيَّة وسهامهم المحدَّدة واحباش متردُّون بجلود الأُسود والنمور ومسلحون بالقسي والخناجر وعلى رؤُوسهم مغافر من جلود رؤُوس الخيل واعرافها مسترسلة على اعناقهم . وثراقيُّون مغافرهم من جلود الثعالب. وكُلشيُّون لابسون خوذاً من الخشب وكثيرون غيرهم من كل انحاء سلطنة الفرس . وبينهم عشرة آلاف يُدعَون بالخالدين لانهُ كلما قُتل منهم واحد اختير واحد

آخر عوضاً عنهُ ليحلَّ محلهُ فلا ينقص عددهم عن عشرة آلاف ولا يزيد . وهم باللباس الفاخر والاسلحة المذهبة . وكان معهُ عدا ذلك ثمانون الف فارس ومركبات كثيرة والف ومئتان وسبع بوارج فيها جنود مسلحة لتحارب بحرًا وللبوارج رؤُوس نحاسية في مقدَّمها لتنطح بها سفن اليونان وتكسرها

فجمع هذ الجيش العرمرم في سرديس قصبة ليديا لانها كانت حينئذٍ من سلطنتهِ وامر ان تلاقيهُ البوارج والسفن الى ميلاس في شبه جزيرة ثراقيا الواقعة بين بوغاز الدردنيل وخليج ميلان . ثم صنع جسرًا من القوارب وعبر عليهِ بوغاز الدردنيل ودخل اوربا ولزم لجنودهِ سبعة ايام بلياليها حتى قطعوا ذلك البوغاز. واجتازوا في ثراقيا حتى اتوا الى ثرما التي سُمّيت بعدئذٍ تسالونيكي. ومن هناك ارسل رسلاً الى مدن اليونان يدعوهم الى الطاعة فسلم لهُ كثيرون خوفًا من جيشهِ الجرَّار ولكنَّ الاسبرطيين والاثينويين اصرُّوا على محاربتهِ مع ان جنودهم وبوارجهم كانت قليلة جدًّا لانهم كانوا يحبون وطنهم ويدافعون عنهُ بدمهم ولا يريدون ان يروهُ في قبضة العدو . هذا من الجهة الواحدة ومن الجهة الثانية لانهُ كان بينهم رجال حكماء يقودونهم ويدبّرون امورهم فعقدوا العزيمة على المدافعة عن وطنهم حتى الممات

فاجتاز زركسيس وعسكرهُ في مكدونية مدوِّخاً البلاد التي مرَّ فيها الى ان جاء الى جبال ثساليا الممتدَّة من البحر الى البحر كسور حصين لا يمكن عبورهُ الَّا من شعاب قليلة ومن طريق حرج في الجانب الشرقي من الجبال يُقال لهُ طريق ثرموبيلي واقع بين جبل شاهق والبحر . فعزم اليونان ان يصدُّوا جيوش زركسيس هناك لان شرذمة صغيرة تستطيع ان تقاوم فيهِ جيشاً عرمرماً لضيقهِ. وكانت جيوش زركسيس تبلغ ثلاثة آلاف الف محارب وجيوش اليونان احد عشر الفاً لا غير وليس منهم في ذلك الطريق الَّا اربعة آلاف ولكنهم كانوا اشدَّاء مستبسلين في الدفاع عن وطنهم واما جنود زركسيس فكانوا مسوقين الى الحرب سوقاً بالسياط والمقارع الَّا ان كثرة عددهم ألقت الرعب في قلوب اليونان فخافوا لئلَّا تكلَّ ايديهم من الذبح فيهم فتدور الدائرة عليهم

ولما بلغ زركسيس ان هذه الشرذمة من اليونان عازمة على صدّهِ عن دخول البلاد تحيَّر في امرهِ ولم يصدّق الخبر حتى ارسل واحداً من قوَّادهِ فاتى اليهم فرأى بعضهم جالسين يمشطون شعورهم وخوذهم وسيوفهم ورماحهم مصفوفة بجانبهم وبعضهم يمارسون رمي الرماح ونحو ذلك من ابواب الحرب ولا يلوح

عليهم شيء من علامات الخوف. فعاد الى زركسيس واخبرهُ بما
رأى فكاد لا يصدّق اذنهُ لانهُ لم يتوقع ان يرى اليونان تحملهم
كبرياؤهم على مقاومتهِ فارسل واستحضر رجلاً يونانياً كان في
معسكرهِ اسمهُ دماراتُس وسألهُ عن جليّة الامر. فقال لهُ دماراتُس
ايها الملك انك ضحكت بي لما قلت لك ان اليونان لا يسلّمون
عفواً بل لا بدَّ ان يقابلوك على هذه الطريق ويصدّوك عن دخول
بلادهم على جاري عادتهم عندما يهاجمهم عدوٌّ. والذين وقفوا لك في
هذه الطريق الآن هم اشجع رجال اليونان. فقال زركسيس ولكن كيف
يستطيعون ان يلقوا جنودي وهم شرذمة صغيرة. فقال دماراتس
انهم سيلقون جنودك والاَّ فعدَّني كاذباً وعاملني معاملة الكاذبين

واما زركسيس فلبث غير مصدّق ان اليونان يحاربونهُ واقام
هناك اربعة ايام منتظراً انهم يولّون الادبار امام جنودهِ بلا حرب
وارسل الى ليونيدس القائد الاسبرطيّ يطلب اليهِ ان يدعهُ يعبر
تلك الطريق ووعدهُ بتمليكهِ على كل بلاد اليونان فرفض
ليونيدس طلبهُ بالاحتقار لانهُ كان اشرف من ان يبيع نفسهُ ولو
بمملكة وحينئذٍ طلب زركسيس من اليونان ان يلقوا السلاح
فاجابهُ ليونيدس تعالَ وخذها منهم

فارسل عليهم زركسيس كتيبة من الماديّين ليأتوا بهم احياء

فلقيهم اليونان وقتلوا منهم خلقاً كثيراً وفرَّ الباقون من امامهم. فارسل عليهم الخالدين المتقدم ذكرهم فاصابهم ما اصاب الماديين. وفي اليوم التالي ظنَّ الفرس ان اليونان كلّوا من الجراح وخارت عزائمهم فهاجموهم فرأوا امامهم جنوداً جديدة لم يروها بالامس. لان اليونان كانوا قد انقسموا كلهم فرقاً وكل فرقة تحارب في دورها. الاَّ الفوشيين فانهم أُرسلوا ليحرسوا شِعباً ضيقاً في الجبال مخافة أَن يهتدي زركسيس اليهِ ويعبر بجنودهِ منهُ. وكان خوفهم من اهتدائهِ اليهِ قليلاً جداً ولكنهُ اهتدى اليهِ بخيانة واحد منهم اسمهُ أَفيلتس فان هذا الدنيء الطمَّاع هدى الفرس الى ذلك الشِعب طمعاً بالمال ولكنهُ حصد نتيجة فعلهِ القبيح لانهُ اضطرَّ ان يهرب من بلادهِ خوفاً من القتل وبعد ان اقتفي اثرهُ من مكان الى آخر وُجد وقُتِل قتلة شنيعة

ولما بلغ زركسيس انهُ يوجد شِعبٌ في الجبال يمكن العبور منهُ ارسل قسماً من عسكرهِ مع أَفيلتِس الخائن فلم يرَهم الفوشيون الحارسون الشِعب الاَّ وقد اقتربوا منهم لان الجبال كانت مغطاة باشجار البلوط. ولكنهم حالما رأوهم هبّوا في وجوههم واستعدّوا للنزال فخاف الفرس ان يكونوا اسبرطيين ولكنهم لما عرفوا انهم ليسوا اسبرطيين تقوَّت عزائمهم وبادروهم برمي النبال فاندعروا

من امامهم وهربوا الى قمة الجبل . فاجتاز الفرس سريعاً وكان ذلك ليلاً

ولمَّا اصبح الصباح تقدَّم زركسيس بجيوشهِ وقابلهُ ليونيدس بجندهِ واشتبك بينهم القتال لان اليونان استقتلوا ورؤساء الفرس لم يخلوا بعساكرهم لكثرتها بل كانوا يسوقونها الى الموت الاحمر سوقاً. فقتل اليونان منهم جمًّا غفيرًا . وضايق الفرسُ اليونان من امامهم ومن خلفهم ولم يكن مع ليونيدس حينئذٍ الاَّ ثلاث مئة فارس فلما رأى ان الفرس قد اهتدوا الى الشِعب واجتازوا منهُ قطع الامل من صدّهم عن دخول البلاد فعزم ان يصبر على قتالهم الى ان لا يبقى من رجالهِ الاسبرطيين احد. وكان الكهَّان قد اخبروهُ انهُ اما ان يهلك هو او تهلك بلادهُ فعزم ان يفتدي بلادهُ بنفسهِ . وعرف حينئذٍ هو ورجالهُ انهُ لا يمكنهم قهر عدوّهم ولكن يمكنهم ان يموتوا في طاعة شرائعهم القاضية على كل اسبرطيّ بأن لا يدير ظهرهُ الى اعدائهِ . فتصبَّروا على الموت حتى لم يبقَ منهم احد ولم يُقتَلوا حتى قتلوا من الفرس عشرين الفاً . ولم ينجُ من كل الاسبرطيين الاَّ واحد فقط كان غائباً عن المعسكر عند حدوث هذه المعركة

الحرب شرٌّ عظيم ولكن اليونان اصابوا في دفاعهم عن وطنهم



افيلينس يدلُّ الفرس

ومقاومتهم للفرس المتغطرسين الذين كان يجب عليهم ان يكتفوا ببلادهم ولا يطمعوا ببلاد غيرهم. ولما رأى زركسيس إقدام اليونان وشجاعتهم علم انهُ لا يستطيع ان يخضع بلادهم زماناً طويلاً ولا سيما لان شجاعتهم هذه قد حرَّضت بقية اليونان على محاربتهِ. فما زالوا بهِ حتى طردوهُ هو وكل جيشهِ من بلادهم

ونحن نرى في بسالة هؤلاء الرجال مثالاً لنا لكي نقتدي بهم ونفضل الموت لاجل الحق على الحياة في الذل ولو كان الذل باباً للربح كما كان في امر أفيلتس. ونحن في حرب دائمة وبعض الاوقات لا يكون لنا امل بظفر يمدحنا عليهِ الناس ولكن لا يليق بنا ان نترك الحرب لهذا السبب بل علينا ان نكون ابطالاً امناء ونجاهد جهاد الايمان الحسن لكي نمسك بالحياة الابدية متذكرين ان رئيس خلاصنا الذي غلب لاجلنا يقتادنا الى الغلبة ويقول لكل جندي صغيراً كان ام كبيراً "كن اميناً الى الموت فسأُعطيك اكليل الحياة". وبعد ان مضى على واقعة ثرموبيلي سنة من الزمان اقام ديوان اليونان العالي نصباً تذكاراً لهولاء الابطال كتب عليهِ ما معناهُ. "اذهب ايها الغريب واخبر الاسبرطيين اننا متنا في هذا المكان طاعةً لشرائعهم" واقام تمثال أَسد على البقعة التي سقط فيها آخر واحدٍ منهم تذكاراً لليونيدس قائدهم العظيم

الفصل العاشر

قصة ثمستكليس وارستيدس
او الصدّيق والحاذق


اثينوي يعطي صوتهُ

لـمـا انتشبت الحرب بين اليونان[١] وزركسيس ملك الفرس كان[١] على اليونان قائدان عظيمان احدهما شجاع حاذق جدًا والآخر مشهور مع شجاعته وحذقهِ بالعدل والاستقامة . واسم الاوّل منهما ثِمِستكُلِيس واسم الثاني أَرِستِيذِس . وهذان الرجلان ربيا معًا وهما صغيران ولكنهما كانا يختلفان في اخلاقهما منذ صغرهما وكان اختلافهما يزداد بتقدُّمهما في السنّ فكان ثِمِستكُلِيس جسورًا مقدامًا محبًا لنفسهِ وساعيًا في احراز المراتب الرفيعة والشهرة بين الناس حاسبًا الشهرة والمدح من الناس اشرف ما ينالهُ الانسان . وكان لا يأبى ان يرتكب ادنى الامور

لاجل الشهرة . واما ارستيذس فكان يحسب ان اشرف شيء للانسان ان يكون مستقيماً وان لا يفعل شيئاً يخجل منهُ اذا عرفهُ الناس . ومجمل الفرق بينهما ان ثمستكليس كان يهتم بامر نفسهِ وارستيذس بعمل الصالح والمستقيم

فشبَّا كلاهما وتقوَّت اخلاقهما بتقدُّمهما في السن فاشتهر ثمستكليس بالخطب النفيسة . واما ارستيذس فكان سكوتاً وقوراً متمماً لواجباتهِ بالسكينة ولم يطُل عليهِ الزمان حتى عُرِف فضلهُ واشتهر ايضاً شهرة فائقة ولقّب بالصدّيق حتى يومنا هذا وحاز اسماً لم يحُزهُ انسان غيرهُ الاَّ نادراً . فاغتاظ ثمستكليس من اشتهار ارستيذس لانهُ كان يريد ان تُحصَر الشهرة كلها فيهِ وان يكون الاوَّل في كل شيء وحاول تحقير ارستيذس في عيون الناس

وكان من جملة شرائع اثينا انهُ اذا اتفق ستة آلاف من اهاليها على نفي انسان وكتبوا اسمهُ على قطع من الصدف او الآجرّ يُنفَى من البلاد عشر سنين . ويسوءنا ان نقول ان ثمستكليس شكا ارستيذس وحرّض الشعب على نفيهِ بالخطب النفيسة واقنعهم انهُ فاعل شرّ حتى اتفق ستة آلاف منهم على نفيهِ وكتبوا اسمهُ على قطع الصدف والآجرّ

وهنا قصة يظهر منها جهل الناس الذين اتفقوا على نفيهِ

وهي ان رجلاً أُميًّا لا يعرف ارستيذس اتى اليهِ وطلب منهُ ان يكتب اسم ارستيذس على صدفة كانت بيدهِ . فقال لهُ ارستيذس "وايّ شر فعل هذا الانسان. ما الضرر الذي لحقك منهُ؟" فقال الرجل "اني لا اعرف عليهِ لوماً ولم يضرّني بشيء ولكني مللت من سمعي كل الناس يلقّبونـهُ بالصدّيق" . فضحك ارستيذس من ذلك واخذ الصدَفة منهُ وكتب اسمهُ عليها حاسبًا انهُ أَولى بالانسان ان يُنفى لاجل استقامتهِ من ان يحرز كل القوة ويكون لئيماً معوجًا . فنُفي من بلادهِ لا لانهُ فعل شرًّا بمخلوق بل لان صديقهُ القديم ثمستكليس حسدهُ ولم يشأْ ان يراهُ معتبرًا في عيون الناس

وكان ثمستكليس مع حبهِ لنفسهِ حاذقًا فطنًا حسن التدبير فعرف ان بلاد اليونان في خطر من الفرس قبل ان جمع زركسيس عسكرهُ لمحاربتها فحثّ اليونان لكي يبنوا المراكب ويكونوا على استعداد لمقابلتهِ. فبنوها وتغلّبوا بها على الفرس في واقعة سلاميس وهذا تحرير الخبر

لما كان لارستيذس ثلاث سنوات في المنفى ارسل زركسيس ملك الفرس يطلب التراب والماء من بلاد اليونان على جاري عادتهم في طلب التسليم في تلك الايام . فكان رأْي ثمستكليس ان يقتلوا رُسل زركسيس لانهُ عارٌ على اليونان ان يستعمل هولاء



ارستيذس والاميّ

الرسل لسان اليونان ويطلبوا منهم التسليم . وسعى في نفي انسان آخر كان يحث اليونان على التسليم .وفعل امورًا اخرى قوَّى بها عزائم اليونان على مقاومة الفرس وعدم الخضوع لهم

ثم جاء زركسيس بجيوشهِ الجرَّارة على ما تقدَّم في الفصل السابق فتحيَّر اليونان في امرهم لان عساكر الفرس كانت كافية لابتلاعهم بكثرتها ولم تكن اثينا محاطة باسوار تقيها هجمات العدوّ بل بسياج واهن من الخشب ومع ذلك لم يستنسب اهاليها ان يهجروها وينزلوا في المراكب كما اشار عليهم ثمستكليس . ولكن ثمستكليس تمسَّك برايهِ وقال لهم ان السبيل الوحيد لنجاتهم هو التجاؤهم الى المراكب والزم كهنةَ دلفي ان يقولوا ان اثينا ستخرب وينجو شعبها ضمن اسوار خشبيَّة وفسر الاسوار الخشبية بالمراكب. ولما رأى ان بعض الناس فسروها باثينا نفسها لانها كانت محاطة بسور خشبي الزم كهنة منرفا ان يقولوا ان التنين المقدَّس ترك الهيكل وذهب الى البحر .وفسَّروا ذلك بأنَّ الإلاهة منرفا غضبت على الاهالي وعزمت ان لا تحميهم ما لم ينزلوا في السفن . فخافوا وهجروا بيوتهم ونزلوا في السفن لانهم كانوا كثيري الاوهام

فمضى الشيوخ والنساء والاولاد الى آجينا وترزيني فعاملهم اهالي ترزيني احسن معاملة واعطوهم دراهم ليبتاعوا طعامًا واباحوا

للاولاد ان يجتنوا الاثمار من جنائنهم مجانًا وساعدوا امهاتهم على تعليمهم وتهذيبهم. واما الرجال فنزلوا في البوارج واتوا الى سلاميس

ويا لها من ساعة محزنة افترق هولاء الناس فيها بعضهم عن بعض. فان الرجال الاشداء كانوا يعانقون اطفالهم وهم يبكون غير متأملين ان يروهم فيما بعد. والنساء الحنائن كنَّ يعانقنَ رجالهنَّ واولادهنَّ وهنَّ غير قادرات على الكلام من شدَّة البكاء. ولكنهم كانوا كلهم يشعرون ان غاية هذه الحرب خير وطنهم فتشدَّدت عزائمهم وقويت علاقة المحبة بينهم واستقتلوا كلهم في حب وطنهم ولذلك جاءهم النصر والفوز العظيم

ويقال ان الحيوانات شاركت الناس في الغمّ والحزن فكانت الكلاب تجول من مكان الى آخر تتفقد اسيادها. ونزل بعضها الى البحر وحاول اتباع المراكب ومنها كلبٌ تبع مركب صاحبهِ سباحة الى سلاميس ولما وصل اليها صعد على الشاطئ. ومات عياءً فدفنوهُ لاجل امانتهِ وسمّوا مدفنهُ مدفن الكلب ولبثوا يذكرونهُ زمانًا طويلاً

وفعل ثمستكليس شيئًا آخر يُمدَح عليهِ وهو انهُ خجل من معاملتهِ لارستيذس او خاف ان يخيب مسعاهُ فيعود الناس عليهِ ويعنفوهُ لاجل نفيهِ او رأى ان الناس صاروا يفتكرون في ارستيذس

ويحبون رجوعهُ فاخرج امرًا يسمح بهِ لكل منفيٍّ ان يعود الى وطنهِ ويساعدهُ بشجاعتهِ ورأيهِ. فعاد ارستيذس من منفاهُ كرجل صالح يقابل السيئة بالاحسان ويهتم بخير بلادهِ اكثر مما يهتم بخير نفسهِ. ففرح الجميع بعودتهِ حتى ثمستكليس نفسهُ على ما ظهر

وبعد ان حاربت البوارجُ اليونانية البوارجَ الفارسية في ارميزيوم وتغلبت عليها وقع خلاف بين اُوريبيادِس امير البوارج اليونانية وبين ثمستكليس. فكان رأْي اوريبيادس ان تعود بوارجهم الى كورنثس من وجه البوارج الفارسية فسفَّهَ ثمستكليس رأْيهُ وقال بوجوب محاربة الفرس في سلاميس. فقال اوريبيادس "أَلا تعلم يا ثمستكليس ان من يبتدئُ قبل غيرهِ في الالعاب الجمهورية يُقاصُّ" فاجاب ثمستكليس "نعم ولكن من يتأَخر عن غيرهِ لا ينال الاكليل". فغضب اوريبيادس ورفع عصاهُ ليضربهُ فالتفت اليهِ ثمستكليس وقال لهُ بهدوءٍ ورزانة "اضرب ولكن اسمع". فذهب قولهُ مثلاً وسمع لهُ الجميع وعملوا برأْيهِ

ولما رأَى زركسيس ان اليونان اختاروا سلاميس مركزًا لهم ايقن بالغلبة عليهم وارسل بعض مراكبهِ لتحرس طريق سلاميس لكي لا تفرَّ بوارج اليونان من وجههِ. وكان هذا كل مشتهى ثمستكليس لانهُ كان يعلم انهم اذا حاربوا الفرس في تلك المضايق تغلَّبوا عليهم

لا محالة ولكنهُ لم يعلم قصد ملك الفرس حتى جاءهُ رسول من جزيرة آجيا واخبرهُ بهِ بعد ما مرَّ في وسط بوارج الفرس وهذا الرسول الذي خاطر بنفسهِ في سبيل خدمة بلادهِ هو ارستيذس فرحَّب بهِ ثمستكليس وقال لهُ اذهب وانصح للباقين ان يثبتوا على محاربة العدو . فاخبرهم ارستيذس بمجيئهِ من جزيرة آجيا وبالاخطار التي صادفها وهو مجتاز بين بوارج الفرس وحثهم على الحرب. وكانت بوارج اليونان ثلاث مئة وثمانين بارجة و بوارج الفرس اكثر من الف ومئتي بارجة

ولما رأى زركسيس بوارج اليونان محصورة في تلك الخلجان الضيقة ايقن بالغلبة وامر ان ينصب عرشهُ الذهبي عند حضيض جبل اغاليوس مقابل جزيرة سلاميس لكي يرى الحرب وكان معهُ كتَّاب ليكتبوا لهُ خبر تلك الواقعة بالتفصيل واسماء الذين يشتهرون فيها بشجاعتهم

وكان اليونان امهر من الفرس كثيرًا وان كانوا اقلّ منهم عددًا ويعرفون تلك الخلجان والمضايق وقد سافروا فيها مرارًا كثيرة منذ كانوا صغارًا. فاشتبك القتال بين الفريقين. ولكثرة الفرس كان بعضهم يقف في وجه بعض فهجم عليهم اليونان بمراكبهم الصغيرة وغرّقوا مئتين من بوارجهم واسروا عددًا غفيرًا منهـا

وذبحوا منهم مذبحة عظيمة فلجأ الباقون منهم الى الفرار . وخسر اليونان اربعين مركبًا فقط وعددًا قليلاً من الرجال لانهُ كان اذا غرق مركب من مراكبهم يسبح رجالهُ الى مركب آخر. ولما رأى زركسيس ذلك مزّق حلّتهُ الملكية. وانهزم مع بعض اتباعهِ تاركًا بقية جيشهِ وراءهُ . فنال جزاء طمعهِ وكبريائهِ

وعظم قدر ثمستكليس وأُكرِم اكثر من كل انسان شهد تلك الحرب لان اليونان نسبوا النصر كلهُ الى مشورتهِ وتدبيرهِ وكلّلهُ الاسبرطيُّون وكانوا اشجع اليونان باكليل من الزيتون وقدَّموا لهُ مركبة فاخرة. ولما رجع الى اثينا ارسلوا لهُ خمس مئة فارس منتخب اظهارًا لفضلهِ . ولا يُذكر اسم ارستيذس في هذه الواقعة الاَّ بانهُ كان حكيمًا شجاعًا مساعدًا لثمستكليس في ما يؤُول الى خير بلادهِ

فتمَّت مطالب ثمستكليس التي كان يشتهيها وصار اعظم انسان في كل بلاد اليونان واصبح قادرًا ان يفعل كل ما يشاء ولكن لم يمضِ وقت طويل حتى رأى الناس انهم لا يستطيعون ان يركنوا اليهِ كما يركنون الى ارستيذس وعظم شأن ارستيذس مع انهُ لم يسعَ وراء العظمة وصار اعظم من ثمستكليس فشقَّ ذلك على ثمستكليس لانهُ لم يرد ان يرى احدًا معتبرًا اكثر منهُ فاخذ يحسد ارستيذس ثانيةً ويرميهِ بالتهم الباطلة كما يفعل الحسَّاد اللئام. ولكنهُ

لم يحاول ان يحمل الشعب على نفيهِ كما حملهم اولاً ولو حاول ذلك لما نجح. ثم قلَّ اركان اليونان اليهِ كثيرًا وخطر لبعضهم وجوب نفيهِ. وستعلم يومًا ما لماذا ساءَ ظن الناس فيهِ. وحسبنا الآن ان نقول ان الشعب اتفقوا على نفيهِ ونفوهُ. ولكن هل ساعدهم ارستيذس على ذلك وكال لثمستكليس بالكيل الذي كال لهُ بهِ؟ كلاً. لانهُ كان اشرف من ان يفعل ذلك بل دافع عنهُ بكل جهدهِ كأَنهُ تعلَّم العفو من السيد المسيح القائل "احبوا اعداءَكم احسنوا الى مبغضيكم" ومات ارستيذس بعد نفي ثمستكليس باربع سنوات فلم يرهُ بعد نفيهِ

ولما نُفي ثمستكليس خرج من بلاد اليونان وذهب من مدينة الى اخرى ولكنَّ اللاكيديمونيين الذين كانوا يكرهونهُ اكثر من كل اليونان مع انهم كانوا قبلاً يعتبرونهُ كثيرًا لم يدعوهُ يستريح فارسلوا الى رؤَساءِ المدن التي كان يتردد اليها يقولون لهم انهم اذا اباحوا لثمستكليس ان يقيم عندهم يكونون اعداءَ لليونان. فلم يجد ثمستكليس لهُ ملجأً الاَّ بلاد الفرس. وكان جسورًا مقدامًا كما تقدَّم فلم ييئَس من استرضاءِ الفرس. وكان زركسيس قد مات وخلفهُ ارتحشستا وعيَّن مئتي وزنة اي ٤٥٠٠٠ ليرة انكليزية لمن يسلم ثمستكليس ليدهِ. فمضى اليهِ ثمستكليس بنفسهِ واقنعهُ انهُ لم يعد

عدوًّا للفرس بل لليونان وانهُ استجار بهِ . ففرح بذلك حتى انهُ صرخ وهو نائم صار ثمستكليس في قبضة يدي صار ثمستكليس في قبضة يدي . وفي اليوم التالي مثل ثمستكليس بين يديه فتلطف لهُ بالكلام واعطاهُ مئتي الوزنة التي عيَّنها لمن يأتيهِ بهِ لانهُ أتى بنفسهِ واجارهُ وطلب رأيهُ في مقاصَّة اليونان. فاجاب ثمستكليس انهُ يجب ان يُمهَل سنةً ليتأمل في المسئلة ويتعلم لغة الفرس حتى يصير قادرًا ان يكلّم الملك بلا ترجمان فامهلهُ سنةً وفي ختام السنة سُرَّ من مقابلتهِ سرورًا عظيمًا حتى انهُ انعم عليهِ بثلاث مدن واحدة تقدّم لهُ خبزهُ وواحدة خمرهُ وواحدة لحمهُ على جاري عادة ملوك الفرس عندما يريدون ان يغنوا احدًا . فعاش في دار ملك الفرس مكرَّمًا معززًا بعد ان كان الدَّ عدوٍّ لهُ

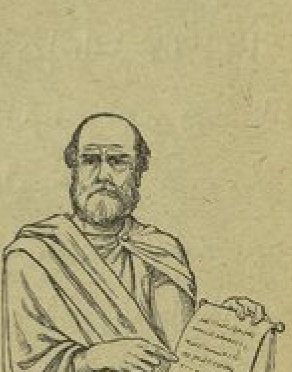
ثم انتشبت الحرب بين الفرس واليونان فطلب ملك الفرس من ثمستكليس ان ينجز لهُ ما وعد ويظهر بغضهُ لليونان فلم يستطع ان يرفض طلب الملك بعد ان اظهر لهُ ما اظهر من الاحسان فوعدهُ ان يفعل مهما طلب منهُ وينتقم لهُ من اليونان ولكن لما حان الوقت للخروج على اليونان ابناء وطنهِ خجل من القيام بوعدهِ . وقال البعض بل خاف ان يعود بالخيبة لان اليونان كانوا

حينئذٍ تحت قيادة فواد عظام فمات اشنع الميتات لانهُ قتل نفسهُ بيدهِ

فما اعظم الفرق بين ثمستكليس وارستيذس فان الاول فعل كل ما فعل لاجل نفسهِ مسوقاً الى ذلك بغايات نفسانية والثاني فعل كل ما حسبهُ حقاً واجباً . الاول فعل كل ما يعود عليهِ بالفخر ولو لم يحلّ لهُ فعلهُ. والثاني فعل ما يظنهُ واجباً غير مفتكر بنفسهِ. الاول مع كل شجاعتهِ واقدامهِ لم يكن يأْبي فعل المنكرات لانهُ كان يحب ذاتهُ وحبّ الذات تجربة للشرور تغلب على كل مَن وُجِدَت فيهِ . نعم انهُ افاد اليونان بشجاعتهِ واقدامهِ واستحق الاكرام والذكر الحسن لاجل ذلك وصار قدوةً لغيرهِ في الشجاعة والاقدام ولكن كما يجب الاقتداء بهِ في ذلك يجب التحذُّر مما وقع فيهِ لان من يطلب مجد نفسهِ يكون دائماً في خطر من السقوط ومن أن يعمل الاعمال التي يخجل منها ثم يفضّل الموت على تحمُّل نتائجها . واما ارستيذس فعاش عيشة راضية بالحقّ. ويجب ان نجتهد على الاقتداء بهِ في عمل المستقيم مهما كانت النتيجة ونطلب المدح من الله وحدهُ ونجعل جلّ مقاصدنا ان نخدمهُ ونمجدهُ في كل شيء

الفصل الحادي عشر

سقراط الرجل الحكيم



فيلسوف اثينوي

سقراط افضل رجل ظهر بين الاقدمين على ما يُظَن . فانهُ كان صالحًا فاضلًا وعلَّم الناس ان يتبعوا الصلاح والفضيلة . وكان ابوهُ يصنع التماثيل فعلَّمهُ هذه الصناعة وترك لهُ لما مات شيئًا من المال فعكف على طلب العلم . وساعدهُ على ذلك صديق لهُ اسمهُ كريتو فانهُ اعطاهُ مالاً يمكنهُ من تعلُّم العلوم من اربابها واستماع تعاليم الفلاسفة اي محبي الحكمة لان معنى الفيلسوف محبُّ الحكمة وكان مع حكمتهِ جنديًا باسلًا حارب في حروب كثيرة

وتحمّل الجوع والعطش والتعب . ولما كانت الارض تتغطّى بالجليد ويبرد الهواء كثيرًا حتى لا يستطيع احد ان يخرج من خيمتهِ الاَّ ملتفًا بالثياب كان سقراط يخرج بثيابهِ العادية ويمشي على الثلج حافيًا . واستحقَّ في احدى المواقع الجائزة التي يستحقها اشجع الجنود ولكنهُ لم يكن يهتم بامر نفسهِ بل يحب ان يعطي الاكرام لغيرهِ فاعطى الجائزة لشابٍّ غني شجاع لكي يزيدهُ شجاعةً واقدامًا وكان هذا الشاب قد وقع بين الاعداء جريحًا فاسرع سقراط اليهِ ووقف فوقهُ وطرد عنهُ الذين ارادوا قتلهُ ثم حملهُ الى محلٍّ الامان . وانقذ في واقعة اخرى حياة اكزنفون الذي كتب تاريخ حياتهِ فانهُ رآهُ وقع جريحًا فاقبل عليهِ وحملهُ على ظهرهِ وخرج بهِ من مكان الخطر وهو يحارب في طريقهِ . وكانت الجنود الاثينوية تحارب وقت الحرب وتعود الى بيوتها واعمالها وقت السلم فكان سقراط يعود وقت السلم الى التعلُّم والتعليم

وكان في ذلك الوقت رجال يدَّعون الحكمة اسمهم سوفسطائيَّة وعملُهم تعليم الصغار الخطابة والجدَل حتى يصيروا قادرين على اقناع الناس او افحامهم سواءٌ كانوا مصيبين او مخطئين . فنتج من تعليمهم شرٌّ عظيم لانهم كانوا يحملون الشعب على تذنيب الابرياء وتبرير المذنبين فصار معنى سفسطيٍّ محتالاً

بعد ان كان معناهُ حكيماً ومن ذلك كلمة السفسطة بالعربية اي القياس الفاسد

وكان سقراط يحب الاستقامة ويعلّم ويعمل بها فكره تعاليم السوفسطائية واجتهد في اظهار اضاليلهم لكي لا ينخدع بها احد . وقاومهم علانيةً واجتهد في صرف شرّهم عن الناس

واثينا كما لا يخفى في اقليم من احسن الاقاليم يحيط بها غابات تقي المارّين من حرّ الشمس . فكان السوفسطائية والفلاسفة يمشون تحتها هم وتلامذتهم . وكثيرون من الاثينويين كانوا يمضون اوقاتهم وقوفاً او مشاةً في نادي المدينة او شوارعها يتحادثون ويتجادلون ويقصّون الاخبار . وكان سقراط ينحو نحوهم الاّ انهُ لم يكن يمضي الوقت في الكلام الفارغ بل في تعليم الحكمة . ثم جمع حولهُ جمهورًا من التلاميذ فكانوا يتعلمون منهُ ويقتدون بهِ

نعم انهُ لم يستطع ان يعلّمهم الحقائق التي في الكتاب المقدَّس لان معرفة الاله الحقيقي كانت في ذلك الزمان محصورة في شعب اليهود . والارجح ان سقراط لم يسمع عن التوراة قط ولكنهُ علَّم انهُ يوجد الله واحد خالق لكل الاشياء وان العيشة الصالحة هي ان يكون الانسان مستقيماً شجاعاً يحكم على طبعهِ ويضبط هواهُ . وعلَّم ايضاً ان السعادة الحقيقية توجد في هذه العيشة الصالحة ولكن

لا يستطيعها الانسان ما لم تأتهِ مساعدة الهيَّة. فقام عليهِ كثيرون وانكروا تعاليمهُ مفضلين عليها تعاليم السوفسطائية الذين كان بعضهم يعلّم بانهُ يجوز للانسان ان يعيش كما يشاء خلافاً لسقراط الذي علَّم بان الانسان يجب ان يعمل لا ما يشاء بل ما هو حق. ومما قالهُ في صدد ذلك. "اني احبكم واعتبركم ايها الاثينيون ولكن يجب ان اطيع صوت الاله لا صوتكم واني لا آلو جهداً عن انذاركم ونصحكم ما دمتُ حياً واستطعتُ الانذار والنصح. واني اقول لكل من ألتقي بهِ يا صاح كيف تحصر اهتمامك في كسب المال والشرف ولا تشتغل في طلب الحق والحكمة"

والظاهر ان سقراط اصغى الى صوت ضميرهِ ولكنهُ احسَّ باحتياجهِ الى شيء آخر غير الضمير باحتياجهِ الى ما نسميهِ صوت الله المعلن في كتابهِ الطاهر. وقال يظهر لي انهُ يجب ان ينزل شخص من السماء ويرشدنا الى الصواب. ولكنهُ لم يعلم ان المسيح كان مزمعاً ان ينزل من السماء كما سبق انبياء اليهود واخبروا فلو عرف بمجيئهِ حقيقةً لفرح فرحاً عظيماً

قلنا ان كثيرين من الطلبة اجتمعوا عليهِ يأخذون الحكمة عنهُ. ولكن كثيرين من الاعداء قاموا عليهِ لان السوفسطائية وتلامذتهم لم يُرضِهم اظهارهُ لسفسطاتهم فشكوهُ الى القضاة واقنعوا

الشعب حتى حكموا عليهِ بالموت

اما هو فلم يستعطف القضاة لكي يعفوا عنهُ ولا طلب منهم ان يعاملوهُ بالرحمة بل قال انهُ يجب عليهم ان يعدلوا في قضائهم وان لا يحولهم عن اجراء العدل شيءٌ . وقال لهم " قد يسوءُكم اعتصامي بالصبر في الدفاع عن نفسي ولعلكم كنتم تنتظرون ان افعل كما يفعل غيري في احوال اقلّ خطرًا من هذه الحال اي ان اتضرع اليكم لكي تعفو عني وآتي باولادي وذوي قرباي ليتضرعوا اليكم كذلك فان لي اقرباء كغيري من الناس وثلاثة اولاد ولكن قد عزمت ان لا يقف حدٌ منهم امامكم لاجل هذه الغاية لا كبرًا مني ولا احتقارًا لكم بل لاني احسب ذلك عارًا عليَّ واعدُّ استعطافكم واسترضاء وجهكم ذنبًا كبيرًا ويجب عليَّ ان اقنعكم بالحجة اذا امكنني . وانتم قد حلفتم ان تسيروا بحسب ذمتكم وتحكموا بموجب الشريعة لا ان تحوّلوا الشريعة الى اغراضكم وهذا الذي يجب عليكم ان تفعلوهُ وحاشا لي ان اعوّدكم على الحنث في حلفكم وحاشا لكم ان تعتادوا هذه العادة . واني اترك الامر لكم وللآلهة لتحكموا بما هو الافضل لي ولكم " . ولما حكموا عليهِ بالموت قال لهم " قد حكمتم عليَّ لاني لم اتلطف لكم في الكلام ولم أُسمِعكم اقوالاً تحبونها كما يفعل غيري ولكني غير نادم :

قد حكمتم عليَّ بالموت ولكنَّ الحقَّ قد حكم على الذين حكموا عليَّ انهم اشرار جائرون"

ثم طُرِح في السجن ليقيم فيهِ ثلاثين يوماً قبل قتلهِ. فاجتمع عليه اصدقاؤهُ وتلامذتهُ يذاكرونهُ في التعاليم التي علَّمهم اياها. وفي اليوم الاخير من ايام سجنهِ تكلَّموا عن خلود النفس فعزَّاهم بقولهِ انهُ يتأمل ان الموت بداءة حياة جديدة احسن من الحياة الدنيا. ثم استأذن من اولادهِ بعد ان نصحهم نصائحهُ الاخيرة وارسلهم من عندهِ هم وانسباءهُ الباقين ولبث بعض تلامذتهِ واصدقائهِ معهُ حتى وفاتهِ. ولما جيء اليهِ بكأس السم تناولها وتجرَّعها فجعل اصحابهُ يبكون فقال لهم على مَ تفعلون ذلك تصبَّروا. وللحال سرى السمُّ في بدنهِ وقتلهُ

وهكذا انتهت حياة هذا الرجل العظيم الفاضل وهو في الثانية والسبعين من عمرهِ. وقد قال واحد من معارفهِ انهُ لم يضرَّ احداً كل حياتهِ بل نفع كل الذين تعاطوا معهُ. يا لهُ من مثال صالح لنا. اذا كان سقراط الذي لم يعرف شيئاً عن التوراة الذي عاش قبل المسيح باربع مئة سنة قد عاش هذه العيشة الصالحة فماذا يجب علينا ان نكون نحن الذين عندنا تعاليم المسيح ومثالهُ الكامل



موت سقراط

الفصل الثاني عشر

ابامينينداس بطل ثيبه



بلوبيدس متخفيًا

تقدَّم معنا ان الاسبرطيين الذين كانوا في واقعة ثرموبيلي حاربوا فيها حتى قُتِلوا عن آخرهم لاجل وطنهم. فافتخر الاسبرطيُّون بذلك وظنوا انفسهم افضل من بقية اليونان وحاولوا ان يقبضوا على زمام الملك ويستبدوا بالسيادة. فاقاموا حربًا على جيرانهم وصالحوا ملك الفرس لكي يمكنهم ان يظلموا اخوانهم. فاضلَّتهم كبرياؤُهم لان المتكبرين تحملهم كبرياؤُهم على فعل امور كثيرة دنيئة. ولكن "قبل الكسر الكبرياء وقبل السقوط تشامخ الروح"(١) كما قال الحكيم. واول جور فعلهُ

(١) ام ١٦:١٨

هولاء الاسبرطيون هو انهم اخذوا ثيبة قصبة بوتيا وفيما كانوا يدَّعون صداقة اهاليها . ثم جاروا على اهاليها وقتلوا كثيرين من افضلهم واشجعهم فهرب منهم اربع مئة الى اثينا ومن جملتهم رجل اسمهُ بلو بيداس وهو صديق اباميننداس موضوع هذا الفصل . ولبث اباميننداس في ثيبة ولم يعرض لهُ الاسبرطيون بسوء لانهم ظنوهُ من طلبة العلم الذين لا يتعاطون امور السياسة ولا يخشى منهم ضرر . ولكنهُ كان برسل يعلم اصحابهُ الذين ذهبوا الى اثينا بما يفعلهُ الاسبرطيون في ثيبة ثم صار هو وصديقهُ بلو بيداس سببًا لتخليص بلادهم من جور الاسبرطيين كما سيجيء

كان بلو بيداس من اهل الثروة ولكنهُ كان كريمًا جدًا وكان اباميننداس فقيرًا ولكنهُ كان قنوعًا طلق الوجه ولم يحتقر الاولُ الثانيَ لاجل فقره ولا أحبَّ الثاني الاول لاجل غناهُ ولا قبل شيئًا من عطاياهُ بل تحابا لانهما كليهما حرّان كريمان ولانهما كانا يشفقان على وطنهما ويودّان ان يضحيا نفسيهما لانقاذهِ من قبضة الاسبرطيين. ولم يتحاسدا لانهما لم يطلبا مجدهما بل سعيا بكل جهدهما يتعاونان على عمل ما يؤُول الى خير اهل بلادهما

وكان اباميننداس مغرمًا بالدرس والمطالعة حاسبًا ان

الحكمة هي الرأس[1]. ولا شك انهُ استفاد من ذلك وصار قادرًا على ان يكون واحدًا من قوَّاد ثيبة وحكامها. ولم يهمل بقية واجباتهِ لاجل غرامه بالدرس كما يفعل بعض الطلبة الذين يأخذون مطالعة الكتب عذرًا للكسل ويقتصرون على قراءة كتب لا فائدة منها بل كان جنديًا شجاعًا. وخاطر بنفسهِ ذات مرةٍ وانقذ صديقهُ بلو بيداس من القتل. وكان ايضًا عفيفًا مستقيمًا امينًا

وبعد مدَّة عزم بلو بيداس واصدقاؤُهُ الذين هاجروا معهُ على انقاذ بلادهم من نير الاسبرطيين فأتوا متخفين الى بيت صديق لهم في ثيبة. وكان الثلج يقع شديدًا عند دخولهم المدينة فدخلوا من طرُق مختلفة فلم ينتبه اليهم احد. ثم لبسوا لبس النساء فوق اسلحتهم واتوا الى بيت ارخياس احد الطغاة الاسبرطيين وكان مولمًا وليمة لاصدقائهِ فظنهم نساء وادخلهم البيت وكان في ايديهم اغصان صنوبر اخفوا بها وجوههم لكي لا يعرفهم ارخياس واصدقاؤُهُ ولم يلبثوا طويلاً حتى استلُّوا سيوفهم وهجموا على ارخياس واصدقائهِ وافنوهم بحدّ السيف. وكان احد اصدقاء ارخياس قد ارسل لهُ كتابًا يحذّرهُ فيهِ وقال لهُ حاملهُ ان فيهِ

(١) ام ٣:١٣ و٤: ٧

شغلاً ضرورياً فقال للرسول اليوم خمرٌ وغداً امرٌ ولم يفتح الكتاب مع انهُ لو فتحهُ لنجا ونجّى اصحابهُ ايضاً

قلنا ان اباميننداس لم يهمل امر بلادهِ بل كان يُعلِم بلويبداس واصحابهُ بما كان يجري فيها والآن نقول انهُ كان يشجع شبان ثيبة ايضاً على ترويض اجسادهم وتقويتهـا املاً بانهُ يأتي وقت يلتزمون فيهِ ان يحاربوا عن وطنهم . فاعدَّهم للحرب بدون ان يوجس الاسبرطيون منهم خيفة. ثم اجتمع اليهِ ثلاث مئة شاب من اشجعهم واشدّهم حبًّا بعضهم لبعض وسمّوا انفسهم الكتيبة المقدَّسة وجعلوهُ قائداً لهم وحلفوا اقساماً كبيرة على ان يكونوا أُمناء بعضهم لبعضٍ في كل المخاطر والاهوال حتى الموت ففعلوا افعالاً عظيمة بارتباطهم و بواسطتهم تغلَّبت اهالي ثيبة في الحرب التي ابتدأت حينئذٍ

قال احد المؤرخين القدماء ان الشبان الذين يخجلون من عمل الدنايا و يعتصبون لداعٍ حميد و يخافون من العار اكثر مما يخافون من الخطر يخافهم اعداؤُهم كل الخوف . وافضل شيءٍ للشبان هو ان يكونوا شجعاء أُمناء يخافون الشرَّ ولا يخافون شيئاً لاجل الخير

وكانت الكتيبة المتقدّم ذكرها تحب اباميننداس كثيراً



موت ابامينداس

لانها علمت انهُ شجاع شريف لا يفعل شيئًا يخجل منهُ بل يقودها دائمًا احسن قيادة ويسير امامها احسن سيرة

وجُعِل ابامينيداس حاكمًا على بوتيا واميرًا على الجيش كلهِ مع بلوبيداس . ثم وقعت واقعة ليوكترا الكبيرة بين اهل ثيبة والاسبرطيين فانكسر الاسبرطيون وقُتِل منهم خلقٌ كثير . وهاجم ابامينيداس وبلوبيداس الاسبرطيين في مدينتهم اسبرطه وتغلبوا عليهم فكسروا نيرهم عن اهالي ثيبة

ولكنَّ اليونان ليسوا اهل ولاء بل دأبهم التقلب والاجحاف بحقوق افضل رجالهم كما فعلوا بارستيذس وسقراط . فقاموا على بلوبيداس وابامينيداس لانهما مسكا زمام الحكم وهما ماسكان قيادة الجيش واطالا مدة حكمهما اربعة اشهر عن ميعادها . وما ذلك الاَّ جور منهم وانكار لجميل هذين البطلين . فقال لهم ابامينيداس انهُ مستعدٌ ان يموت اذا كانوا يسمحون لهُ ان تُكتَب اعمالهُ على قبرهِ . ولما لم يجدوا ذنبًا عليهما اطلقوا سبيلهما فازدادا فخرًا وشرفًا

ودامت الحرب بين الاسبرطيين واهالي ثيبة زمانًا طويلاً وكان اهالي ثيبة الغالبين غالبًا مدَّة ما قادهم ابامينيداس . وآخر واقعة حضرها كانت بقرب منتينيا في اركاديا وقد اشتبك في تلك الواقعة خمسون الفًا من اليونان فقُتِل منهم خلقٌ كثيرٌ على الجانبين

ولكنهم ثبتوا كلهم ثبات الابطال . فجمع حينئذٍ ابامينونداس اشجع جنودهِ وهجم بهم على الاسبرطيين فانهزم الاسبرطيون من امامهم وذبح اهل ثيبة منهم مذبحة كبيرة حتى تحقق النصر لهم . وحينئذٍ سدَّد واحدٌ من الاسبرطيين رمحهُ وطعن بهِ ابامينونداس فخرق درعهُ ودخل في صدرهِ فانكسر من شدَّة الضربة وبقي سنانهُ في صدرهِ . فوقف عليهِ اهالي ثيبة يدفعون الاسبرطيين عنهُ لانهم عزموا ان لا يدعوهم يأخذون جسد قائدهم المحبوب. ثم حملوهُ واتوا بهِ الى خيمتهِ. فقال لهُ الطبيب انهُ حالما يخرج السنان من صدرهِ يموت. فحزن رجالهُ عليهِ حزنًا شديدًا . واما هو فلم يكن مفتكرًا في نفسهِ بل قال لهم "هل سَلِمَ ترسي". لان فقدان الترس عار عظيم . فقالوا لهُ نعم واروهُ اياهُ فسأَلهم عن الواقعة فقالوا ان الغلبة لنا فقال يكفي ثم نزع السنان من صدرهِ لانهُ لم يجسر احد ان ينزعهُ لهُ واسلم الروح

وكان ابامينونداس رجلاً عظيماً شجاعاً فاضلاً مستقيماً يسعى في خير غيرهِ وفخر بلادهِ ويفعل المستقيم بحسب معرفتهِ . فطوبى لكل من يحذو حذوهُ ويكون اميناً شجاعاً كريم النفس . لم يكن هذا الرجل العظيم يحب الحرب ولكنهُ لم يهرب من مخاطرها عندما وجبت عليهِ . وعندما أُقيم قائداً للجيش كان مثالاً

لرجالهِ في الشجاعة ومساعداً ومنشطاً لهم حتى احبهُ الجميع كما اطاعوه . ولما كان في واقعة ليوكترا قال لرجالهِ تقدموا ايضاً خطوة واحدة تنتصروا فتقدَّموا تلك الخطوة وانتصروا

لا بد لنا كلنا من الدخول في حرب هذه الحياة وكثيرًا ما يتوقف انتصارنا على خطوة واحدة نتقدمها وانغلابنا على خطوة واحدة نتأخرها . فعلينا ان لا نبيح للشرّ ان يؤخّرنا ولو خطوة واحدة فان النصر قد يتوقف على تلك الخطوة . والمسيح رئيس خلاصنا وقائدنا يدعونا ان نحمل صليبنا ونتبعهُ فاذا حوَّلنا وجوهنا عنهُ وأدرنا اليهِ ظهورنا لا يحسبنا من اتباعهِ . فيجب ان ننادي دائمًا تقدَّموا ايضًا خطوة واحدة حتى ولو خفنا من الانغلاب وستكون تلك الخطوة يومًا ما سببًا للنصر والدخول الى المجد الابدي

الفصل الثالث عشر

ديموستينس الخطيب الفصيح



ديموستينس عند الشاطئ

تقدَّمت معنا قصص كثيرة عن الابطال والجنود ونريد الآن ان نتكلم عن انسان آخر قد اشتهر اشتهار اولئك الابطال مع انهُ لم يدخل في حرب الَّا مرَّة واحدة فقط ثم انهزم منها وهو ديموستينس الخطيب

وُلد هذا الرجل في اثينا سنة ٣٨٤ ق.م. ومات ابوهُ لما كان عمرهُ سبع عشرة سنة فقط فاختلس اوصياؤهُ كثيرًا من المال الذي تركهُ لهُ ابوهُ. وكان نحيف الجسم ضعيف الصحة قليل القوة بخلاف اولاد اليونان ولم يُعتنَ بتربيتهِ كما لو كان ابوهُ حيًّا ولكنهُ كان قويَّ الجنان شديد العزم فصار من اشهر رجال اليونان. ولعلهُ افصح خطيب قام في الدنيا

حكي انهُ لما كان في المدرسة سمع المعلمين يتكلمون عن الذهاب لاستماع خطيب فصيح اسمهُ كالِستراتُس الذي كان مرادهُ ان يداعي رجلاً من الاثينويين متهماً بالخيانة . فطلب منهم ان يأخذوهُ معهم فترددوا اولاً في اخذهِ ثم اخذوهُ . وكانت المحكمة غاصةً بالناس فاصغوا الى كالستراتُس وصفقوا لهُ طرباً ثم رافقوهُ الى بيتهِ وهم يعجبون ببلاغتهِ . فاشتهى ديموستينس ان يكون خطيباً مثل ذلك الخطيب وان يصفق لهُ الناس مثلهُ . وما زال يفكر في هذا الموضوع حتى عزم ان يأخذ الخطابة صناعةً لهُ . فترك المدرسة وجعل يمارس الخطابة واستعان بعلم يعلمهُ اياها . وقيل انهُ درس الخطابة على الفيلسوف افلاطون الشهير

وخطب خطبتهُ الاولى ضد اوصيائهِ الذين اختلسوا مالهُ وهو بين السابعة عشرة والثامنة عشرة ولكنهُ لم ينجح كما توهم . فانهُ افتكر على ما نظن ان الناس يعجبون بهِ كما اعجبوا بكالستراتس ووطن نفسهُ على ذلك وحسن لها ان خطبتهُ من انفس الخطب وانهُ حالما يسمعها اوصياؤهُ يعلوهم الخجل والرعب ويقول الناس ما ابلغ هذا الخطيب . نعم ان الناس قالوا ذلك ولكن ليس حينئذٍ بل بعد عدة سنين اي بعد ان كبر ديموستينس وتعلم اشياء كثيرة

لم يكن يعلمها حينئذٍ . اما الآن فضحكوا عليهِ وعارضوهُ في الكلام حتى نسي ما كان يريد ان يقولهُ وكان صوتهُ ضعيفًا ولسانهُ ألثغ فلم يفهموا كلامهُ بل لم يسمعوهُ . اما هو فلم يخُر عزمهُ بل عقد قلبهُ على ان يكون خطيبًا بليغًا وعزم على ان لا يألو جهدًا حتى يبلغ غايتهُ

وفي احد الايام اتتهُ المعونة من حيث لا ينتظر وسدَّدت خطواتهِ نحو الفوز والشهرة وذلك انهُ خطب على احد الناس في احد المحافل فضحكوا عليهِ كما ضحكوا اولاً ومانعوهُ عن الكلام فخرج من بينهم كئيبًا كاسف البال وغطى راسهُ بردائهِ لكي لا يراهُ احد . فتبعهُ واحد من اصدقائهِ اسمهُ ساتيروس واخذ يعزيهِ ويخفف كربتهُ . فقال لهُ ديموستينس اني اتعب على خطبي تعبًا جزيلاً يكاد يذهب بصحتي ومع ذلك أرى الناس يسمعون أيًا كان ولو كان بحريًا سكيرًا ولا يسمعونني . فقال ساتيروس أصبتَ ولكن اذا كنت تتلو عليَّ خطبة من خطب اوريبدس او صوفوقليس اساعدك على ايجاد العلاج لذلك . فتلا ديموستينس خطبة من خطبها ثم تلاها ساتيروس بعدهُ ولكنهُ تلاها على اسلوب آخر حتى لم يصدق ديموستينس انها نفس الخطبة التي تلاها هو . ثم بيَّن لهُ ساتيروس ان الخطاب لا يؤثر في النفوس ما لم يكن

واضح الكلام طبيعي المورد مصوغًا صيغة حسنة وانهُ اذا لم يكن كذلك مجتهُ الآذان ولم يصغِ اليهِ احد

فعزم ديموستينس من ذلك الوقت على استكمال كل ما ينقصهُ من شروط الخطابة واحتفر كهفًا وجعل يقيم فيهِ الشهرين والثلاثة يمارس الخطابة. وكان يحلق جانبًا من رأسهِ حتى لا يعود يمكنهُ الخروج الى المدينة واضاعة وقتهِ بالباطل . واصلح لثغة لسانهِ بوضع الحصى في فمهِ عند الكلام على ما قيل . وقوّى صوتهُ بممارسة الخطابة عند شاطىء البحر والبحر هائج . وواظب على الدرس وتحبير الخطب وتنقيحها . وكان اذا سمع جملة او خطبة بليغة يكرّرها لنفسهِ مرارًا كثيرة حتى ترسخ في ذهنهِ ثم يهذّبها بالتغيير والتبديل والزيادة . وقرأ افضل الكتب وافصحها مرارًا كثيرة لكي ترسخ فيهِ ملكة الفصاحة ونسخ لاجل ذلك تاريخ ثوكيديدِس ثماني مرات متوالية . وكان يكتب كل خطبهِ الاولى وينقحها جيدًا. ولم يكن يتكلم على الجمهور بدون استعداد ولذلك تهكّم عليهِ بعض الخطباء وقال لهُ واحدٌ منهم ان خطبتهُ تُشَمُّ منها رائحة المصباح اي انهُ اشتغل فيها كثيرًا على نور المصباح فاجابهُ ديموستينس قائلاً ان مصباحي ومصباحك لا يريان شغلاً واحدًا. لان ذلك الرجل كان يسهر مع الاردياء . وكان يقول انهُ لا يليق

بالخطيب ان يخطب على الشعب في امور مهمة بدون ان يكون مستعدًّا. فانهُ الشهرة لا بما يسمّى موهبة طبيعية بل بالتعب والصبر على قهر المصاعب والمواظبة والاجتهاد

يظن البعض انهُ يمكنهم ان يفعلوا مهما ارادوا لان لهم حذاقة طبيعية ولكن الذين يقصرون اعتمادهم على حذاقتهم قلما يفعلون شيئًا لانهم يحلمون بالامور العظيمة التي يريدون ان يفعلوها ثم يستيقظون من حلمهم فيرون انهم لم يفعلوا شيئًا وقد قاربت شمسهم المغيب . اما ديموستينس فكان حاذقًا ومجتهدًا وعملِ بموجب قول احد الفضلاء القائل "كل ما يستحق ان يُصنع يستحق ان يُصنع جيدًا" وواظب على ذلك حتى صار اعظم خطيب في الدنيا ورئيسًا من روساء اليونان

واشتهر ديموستينس لاجل خطبهِ التي خطبها ضد فيلبس ملك مكدونية خوفًا من ان يأتي ويتغلب على اليونان ويستعبدهم. وتُسمّى خطبهُ هذه بالفيلبيّة . خطب الخطبة الاولى منها بعد موت اباميننداس بعشر سنين وكان شجاعًا في الخطابة كما كان اباميننداس في الحرب حتى ان فيلبس نفسهُ كان يعجب بجسارتهِ وشجاعتهِ في الكلام. وكان يرشد الشعب في خطبهِ الى عمل المستقيم بحسب معرفتهِ ولكنهُ لم ينصف فيلبس في كل ما قالهُ ضدهُ لانهُ

كان يطعن فيهِ دائماً حتى لما كان الاثينويون متصالحين معهُ. ولم يكن يطيق ان يسمع احداً يمدحهُ

وكان لخطَبهِ وقعٌ عظيم في نفوس اليونان حتى انهم خرجوا بسببها لمحاربة فيلبس ووقعت بينهم واقعة خيرونيا التي انكسر فيها اليونان وهرب منها ديموستينس . وكان اليونان قد استشاروا كهنة دلفي فلم يشيروا عليهم بمحاربة فيلبس فقال ديموستينس ان فيلبس رشا الكهنة حتى يصرفوا اليونان عن محاربتهِ فكان ما كان من انغلابهم

ويسوءنا ان نقول ان ديموستينس لم يكن شجاعاً في الاعمال كما كان في الاقوال ولا سيما لان الانسان يمكنهُ ان يكون شجاعاً في القول والعمل كما كان سقراط ولكن ديموستينس لم يكن فاضلاً مثل سقراط

ومن خُطَب ديموستينس المشهورة خطبة اسمها الاكليليَّة . ولهذه الخطبة قصّة وهي ان ديموستينس بنى اسوار اثينا على نفقتهِ لانهُ جمع ثروة وافرة بواسطة خطابتهِ فجازاهُ الشعب لاجل ذلك ولاجل خدمهِ الكثيرة باكليل من ذهب . فقام رجل حسود اسمهُ اسخينس وحاول ان يقنع القضاة ان اعطاء الاكليل لديموستينس مضادٌّ للشريعة وان ديموستينس لا يستحقهُ فاجابهُ

ديموستينس بهذه الخطبة النفيسة . ولبث اسخينس يمانعهُ عن اخذ الاكليل عشر سنوات ولكنهُ انغلب في الآخر وحُكم عليهِ ان يترك اثينا او يدفع مبلغًا كبيرًا من المال

وبعد ذلك هرب هربالوس وكيل مال الاسكندر ملك مكدونية الى اثينا واخذ معهُ مالاً كثيرًا وستة آلاف رجل . فطمع كثيرون من الخطباء بمالهِ وحثوا شعب اثينا على اجارتهِ الاَّ ديموستينس فانهُ قاومهم وحثَّ الشعب على طردهِ . وبعد ايام كان هربالوس يحسب اموالهُ بحضور ديموستينس فراى ديموستينس بينها كأسًا ذهبية اعجبهُ منظرها فقال لهُ هربالوس زُنها ما اثقلها فرازها بيدهِ وقال لهُ "كم تجلب" اي كم تساوي فقال هربالوس عشرين وزنةً (اي نحو ٥٠٠٠ ليرة انكليزية) وفي تلك الليلة ارسل هربالوس الكاس وعشرين وزنةً لديموستينس فقادهُ بذلك الى حزبهِ بل اعمى عينيهِ لان الرشوة تعمي العيون

وفي الصباح اجتمع الجمع وهم ينتظرون ان يسمعوا ديموستينس يخاطبهم ضد هربالوس فاتى رابطًا عنقهُ بمنديل وخاطبهم بالاشارة كأنهُ اصابهُ زكام شديد اعدمهُ الصوت . فقال الشعب انهُ بُحَّ من بلع الذهب والفضة فغضب من ذلك وحاول اقناعهم ببراءتهِ وطلب مرافعتهم الى مجلس اريوس باغوس ظانًا



ديموستينس وكاس الذهب

انهُ يستطيع اقناعهم بعدم اخذهِ رشوة فرافعوهُ ووجدوهُ مذنباً وحكموا عليهِ بأن يدفع خمسين وزنة وان يُسجَن حتى يدفع هذا المال . فهرب من المدينة فتبعهُ بعض اصدقائهِ وبعض الذين شكوهُ فظنَّ انهم تبعوهُ لكي يمسكوهُ فاختفى منهم . ثم لما عرف قصدهم اخبرهم انهُ حزين جداً لاجل ما جرى وبكى بين ايديهم كأنهُ طفل . وكان الاثينويون يحبون بهِ كثيراً ويحبون رجوعهُ اليهم . ولما لم يكونوا يستطيعون ان يلغوا الغرامة جعلوهُ يهيئ مذابح زفس (المشتري) ويزينها عند تقديم الذبائح واعطوهُ بدل ذلك خمسين وزنة فدفعها غرامة

ولم يعِش بعد ذلك طويلاً وقلَّ اعتبارهُ في عيون الناس ومات في مقاومتهِ للمكدونيين وذلك لان انتيباترُس وكراترُس خرجا بجيوشهما من مكدونية الى اثينا فهرب ديموستينس من وجههما ولجأ الى هيكل نبتون في كلوريا فتبعهُ واحدٌ من قواد انتيباترُس اسمهُ ارخياس وحاول اقناعهُ بالمضي الى انتيباترُس فلم يقنع بذلك . فاخذ ارخياس يهددهُ فقال لهُ ديموستينس اني امضي معك ولكن امهلني ريثما ارسل وصيتي الاخيرة الى اهل بيتي . ثم دخل غرفة داخل الهيكل وشرب سماً قاتلاً فدخل اليهِ ارخياس ووجدهُ لا يستطيع المشي ثم سقط بقرب المذبح ميتاً

اسفًا على تلك الهمة اسفًا على تلك الفصاحة التي كانت تدبر عقول اليونان اسفًا على ذلك الرجل . كان خطاه العظيم انهُ سلَّم نفسهُ الى غرور هذه الدنيا ومحبة المال فصار يهتم بامر نفسهِ اكثر ممَّا يهتم بالحق والاستقامة . بل قصر اهتمامهُ على طلب الشهرة والثروة وجاهد في طلبها اي جهاد . يا حبذا لو كنا نجاهد جهادهُ في طلب الامور الشريفة يا حبذا لو كنا نطلب "اولاً ملكوت الله وبرَّهُ" فتزداد لنا هذه كلها

الفصل الرابع عشر

تخليص سيراقوسا



ديون ذاهباً الى سيراقوسا

سيراقوسا مدينة قديمة من مدن صقليَّة مصَّرها اناس رحلوا اليها من كورنثوس سنة ٧٣٤ ق. م. وكان يحكمها في الوقت الذي حدثت فيهِ الحوادث التالية الملك ديونيسيوس الصغير. وكان ابوهُ جائرًا في حكمهِ الَّا انهُ كان حاذقًا . اما هو فلم يكن حاذقًا مثل ابيهِ ولكنهُ كان في اول امرهِ الين عريكة منهُ فظنَّ اهل سيراقوسا انهُ يكون مسالمًا . ولو اصغى الى مشورة الحكماء لكان كذلك ولكنهُ اصغى الى اقوال المملّقين الذين لا يهمهم الَّا استرضاؤهُ . وافضل مشير من مشيريهِ هو عمهُ ديون فانهُ كان حكيمًا ومحبًا لهُ حتى انهُ عندمـا خِيف انتشاب الحرب بين سيراقوسا وقرطجنَّة عرض على ديونيسيوس ان يمضي بنفسهِ و يعقد

الصلح مع القرطجنيين او يجهز خمسين سفينة لحربهم . وكان يجب على ديونيسيوس ان يشكر عمهُ على ما عرضهُ عليهِ وربما كان فعل ذلك لولا مملقوهُ الذين اكثروا الوشاية على عمهِ وما من سبب لبغضهم لهُ الَّا لان اعمالهم كانت شريرة واعمالهُ صالحة وهو عين السبب الذي ابغض قايين اخاهُ هابيل لاجلهِ

ولما كان ديون شابًا تعرَّف بافلاطون الفيلسوف وتتلمذ لهُ فعلَّمهُ افلاطون ان عيشة الصلاح افضل عيشة ومن ثمَّ صار ديون يسعى جهدهُ ليعيش عيشة الصلاح والتقوى بحسب ما استطاع افلاطون ان يرشدهُ . ودام على ذلك كل حياتهِ وحاول ان يقتاد ديونيسيوس في تلك الطريق ولكنَّ مملقيهِ تغلبوا على ديون وقالوا انهُ متكبر لانهُ لم يشترك معهم في الخلاعة. واننا نخجل من ذكر القبائح التي قادوا هذا الملك اليها . ولما رأوا ديون مجتهدًا في صرفهِ عن الطريق الرديئة التي سار فيها اقاموا عليهِ النكير . فرفض الملك مشورة عمهِ لان مملقيهِ قالوا ان عمك قاصد تحويل السلطنة الى يدهِ

وكان افلاطون حينئذٍ في اثينا فتذكَّر ديون تعاليمهُ الصالحة وقال في نفسهِ ربما استفاد ديونيسيوس منهُ اذا سمعهُ فاخذ يخبرهُ عن فضل افلاطون وحكمتهِ وخبرتهِ في السياسة وارشاد اربابها

الى سواء السبيل حتى اظهر الملك ميلهُ الى رؤية افلاطون واستماع كلامهِ فكتب ديون اليهِ يحثهُ على المجيء الى سيراقوسا. ولم يكن افلاطون راغباً في المجيء الى سيراقوسا لان ابا ديونيسيوس عاملهُ شرَّ معاملة فخاف ان يكون ابنهُ مثلهُ. ثم قال في نفسهِ انهُ اذا كانت العيشة الصالحة خير شيء للناس وجب ان نعلمهم ذلك ولو تعبنا. فاجاب طلب ديون وجاء الى سيراقوسا فقُوبل بمزيد الترحاب والاكرام وأُحضرت لهُ مركبة فاخرة سارت بهِ الى قصر الملك. وقرَّب الملك ذبيحة شكرٍ للآلهة على وصولهِ سالماً. وتأمل الشعب ان يكون قدومهُ عليهم واسطة لارشاد ملكهم الشاب الى سواء السبيل. وتظاهر اهل بلاط الملك بالسلوك الحسن فابطلوا الغناء والبطر واستولى عليهم الهدوء والسكينة وصاروا كلهم من الراغبين في الحكمة. كل ذلك خجلاً من المجاهرة بالشرّ امام هذا الحكيم الصالح

وظهر في اول الامر ان ديونيسيوس سيكون من افضل تلامذة افلاطون وادَّعى انهُ مُولَع بالحكمة والصلاح ولكنَّ ذلك لم يطُل لان مملقيهِ اقنعوهُ ان الصلاح لا يناسبهُ وان افلاطون وديون قد ترأَّسا عليهِ و يجب ان لا يخضع لهما. هذا شأن الاشرار دائماً فانهم يحثُّون الناس لكي لا يخضعوا للتعاليم الصالحة.

فسئمت نفس ديونيسيوس من العلم والفلسفة واحبَّ الرجوع الى طرقهِ الرديئة مثل الذين ليس لهم قلبٌ جديد وروح مستقيمة. وهذا القلب وهذه الروح هما من الله ولا يعطيهما الاَّ للذين يطلبونهُ بالحق والاخلاص

وفي الآخر فعل ديونيسيوس حسب غواية هولاء المملقين فنفى ديون وصرف افلاطون . فمضى ديون الى اثينا وكان يمضي اوقاتهُ في الدرس وزيارة مدن اليونان للمذاكرة مع حكمائها ورؤْية ما فيها مما يستحق الرؤْية. وكان يُكرَم كثيرًا في كل مدينة دخلها لاجل حكمتهِ ولين عريكتهِ. فغضب ديونيسيوس من ذلك لانهُ كغيرهِ من الاشرار يحسد كل مَن يكرمهُ الناس ولم يعُد يرسل لهُ مالاً مع ان المال لديون . وفعل معهُ افعالاً اخرى تظهر رداءتهُ

وفي غضون ذلك سئمت نفوس اهالي سيراقوسا من شرّ ملكهم وجهالتهِ . وارسلوا اخبروا ديون انهم يحبون التخلص منهُ . فعزم ديون على تخليصهم وجمع جيشًا قليلاً من اليونان واقلع طالبًا صقلية فبلغها بعد معاناة اتعاب كثيرة ونزل بقرب سيراقوسا . وكان ديونيسيوس حينئذٍ غائبًا مع كثيرٍ من رجالهِ . فلما سمع الشعب بقدوم ديون خرجوا اليهِ من كل اطراف البلاد حتى صار معهُ خمسة آلاف مقاتل فدخل بهم سيراقوسا وقُوبل

بالترحاب ولبس رؤساء الاهالي حللاً بيضاء وخرجوا للقائهِ فقتل البعض من انصار ديونيسيوس وطرد الباقين . وبايعهُ الشعب هو واخاهُ الملكَ عليهم

ثم عاد ديونيسيوس واجتهد في السعي لاسترداد الملك من ديون وبعد حروب كثيرة ترك سيرافوسا وهرب الى ايطاليا . واظهر ديون في تلك الحرب بسالة عظيمة حتى ان جنودهُ اهدوا اليهِ اكليلاً من الذهب

ولكن اهالي سيرافوسا كانوا كثيري التقلُّب والتشكي من ملوكهم كما هي عادة اليونان فلم يمضِ وقت طويل حتى اخذوا يسيئون الظن في ديون مع كل ما فعلهُ لهم . وقد حملهم على ذلك رجل اسمهُ هراكليدس وهو عدوٌ لديون وصديق لديونيسيوس فصدَّقوهُ وانتخبوهُ قائدًا لهم على الرغم من ديون وحاولوا ان يحوّلوا قلوب الجند عنهُ ولكن الجنود كانوا يحبون ديون ويوبخون الشعب لاجل نكرانهم لجميلهِ . وتعاظم الخطب حتى اضطرَّ ديون وجنودهُ ان يشهروا السلاح للدفاع عن انفسهم لأن اكثر اهالي سيرافوسا كانوا رجال قول لا رجال عملٍ فحالما احاط الجنود بديون واشهروا اسلحتهم هرب السيرافوسيُّون من وجههم . ثم مضى ديون بجنودهِ الى بلاد الليونتيين فقابلوهُ احسن مقابلة

وبعد ذلك ندم السيراقوسيون على طردهم لديون من مدينتهم لان ديونيسيوس ارسل عليهم سفناً كثيرة ملآنة من المقاتلين ولم يكن عندهم من يقود عساكرهم ويحمي مدينتهم من عساكره. فارسلوا الى ديون يستعطفونهُ ويطلبون رجوعه اليهم بالدموع فلم يطرد رسلهم لانهُ كان كريماً غفوراً يريد ان يعمل الخير حتى مع غير الشاكرين بل جمع جنودهُ ورجالهُ ليستشيرهم في الذهاب الى سيراقوسا. ولما اخبرهم الرسل بطلب السيراقوسيين اجتهد ديون ان يتكلم فخنقتهُ العبرات عن الكلام واخيراً كفكف دموعهُ واخذ روعهُ وقال "لا بدَّ لي من الذهاب فان لم اقدر على انقاذ سيراقوسا متُّ في سبيل انقاذها" . فطيَّب جنودهُ قلبهُ وقالوا لهُ انهم مستعدُّون ليمضوا معهُ حيث يمضي وقاموا الى سيراقوسا في تلك الليلة

ولما سمع جنود ديونيسيوس بقدوم ديون نهبوا المدينة واضرموا فيها النار وقتلوا الذين حاولوا الهرب منها حتى ان هراكليدس عدوَّ ديون ارسل اليهِ يستغيثهُ ويستعجلهُ لان الجنود امست بلا قائد والمدينة صارت فريسة للنار. وكان ديون على سبعة اميال من المدينة لما بلغتهُ هذه الاخبار فالفاها الى جنودهِ فاخذ الجنود يعدُون نحو المدينة عدواً حتى بلغوها بعد برهة

يسيرة فقابلهم الاهالي بالتهاليل والصلوات والنذور واخذوا من ساعتهم يدفعون العدوَّ بحدّ السيف فتغلّبوا عليهِ واطفأوا النار

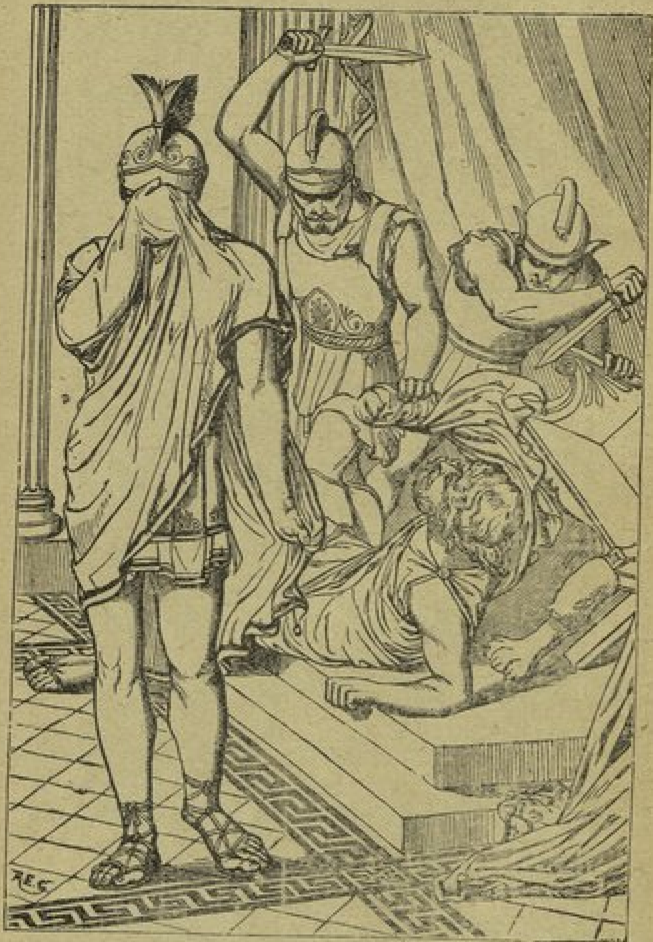
ثم اتى هراكليدس الى ديون واقرَّ بذنبهِ وطلب منهُ ان لا يعاملهُ بحسب ما يستحق . فكان رأْي مشيريهِ ان يقتلهُ حالاً اما هو فقال قد علمتني التجارب ان اقمع الغضب ولا اعامل بالانتقام . ثم عفا عنهُ واطلقهُ في سبيلهِ . فكأَنهُ تمَّم وصيَّة المسيح القائلة اغفروا يُغفَر لكم . ولكن هراكليدس ازداد شرًّا وفسادًا حتى اضطرَّ ديون ان يصغي الى مشورة مشيريهِ ويحكم بقتلهِ . الاَّ انهُ ندم على ما فعل لانهُ توهم انهُ يرى دائمًا خيالاً مخيفًا يهددهُ بالشرّ . ثم اشار عليهِ مشيروهُ ان يقتل انسانًا آخر لانهُ كان يسعى في هلاكهِ فقال لهم اني افضّل ان اموت الف ميتة من ان احفظ حياتي بقتل رجل آخر . وكان اسم هذا الانسان كالبُّوس فنجح في سعيهِ الرديء وقتل ديون واستبدَّ بالملك ولكنهُ لم يتمتع بهِ طويلاً لان الشعب ابغضوهُ قدر ما احبوا ديون وقتلوهُ بالسيف الذي قتل بهِ ديون

وحينئذٍ عاد ديونيسيوس الى سيرافوسا بعد ان غاب عنها عشر سنوات ولكنهُ لم يأْتها احسن مما كان حين خرج منها ولا احكم بل اردأ واشرس فعامل شعبها بالقسوة حتى ساءَت حالهم

كثيرًا . ولزيادة تعسهم غزاهم القرطجنيون بمراكبهم الكثيرة فارسلوا يستعينون بالكورنثيين لانهم قالوا ان جدودنا جاءوا من كورنثوس والكورنثيون يحبون الحرية فيعينوننا في ضيقنا . فأحسن الكورنثيون الى رسلهم وجمعوا عسكرًا وجعلوهُ تحت قيادة تيموليون بن تيموديموس

وكان تيموليون رجلاً حكيمًا صادقًا ولكن حدث لهُ وهو شاب حادث محزن قطعهُ عن الناس عشرين سنة. وهذا الحادث هو انهُ كان لهُ اخ اكبر منهُ اسمهُ تيموفانس كان يدَّعي الشجاعة وهو طائش محبٌّ لنفسهِ لا يهتم بامر احد فبذل تيموليون جهدهُ لجعل الناس يحسنون الظنَّ في اخيهِ ولم يقل كلمة ضدَّهُ وخاطر بنفسهِ في احدى المعارك حتى خلَّصهُ من القتل. ولكن تيموفانس حاول التسلط على كورنثوس وقتل بعض اهاليها وسمَّى نفسهُ ملكًا . فنصحهُ تيموليون لكي يرتدع عن ذلك فلم يصغِ اليهِ فاخذ تيموليون معهُ اثنين من اصدقائهِ فجعلا ينصحانهِ لكي يعدل عن عزمهِ لان لا حقَّ لهُ بالسلطة فلم ينتصح فحوَّل تيموليون وجههُ عنهُ وبكى واستلَّ صديقاهُ سيفيهما وفتكا بهِ (اي بتيموفانس)

ولما اشتهر ذلك قال البعض ان تيموليون قتل اخاهُ ليحكم عوضًا عنهُ . وقال غيرهم انهُ فعل فعلاً بربريًا . ومنعتهُ امهُ عن



تيموليون وتيموفانس

دخول بيتها بعد ان سكبت على رأسهِ كل اللعنات فأحزنهُ ذلك جدًا حتى عزم ان يقتل نفسهُ الّا ان اصدقاءهُ صرفوهُ عن عزمهِ بلجاجتهم فاعتزل عن المدينة وعاش منفردًا هائمًا على وجههِ في البراري والقفار حزينًا على اخيه وعلى ان امهُ منعتهُ عن رؤيتها وبقي على ذلك عشرين سنة . ولما اختير قائدًا للعسكر المُرسَل ضد الطاغية(١) ديونيسيوس رأى انهُ يجب عليهِ الذهاب معهُ ولما وصل الى سيراقوسا هرب ديونيسيوس من وجههِ

فخربت سيراقوسا من غوائل الحروب ومظالم الطاغية ديونيسيوس ولم يبقَ بها ساكن ونبت الاعشاب في شوارعها وساحاتها وكان الخراب نصيب المدن التي حولها فصارت بيوتها كُنُسًا للظبي ومغائر للوحوش ... تبًا للحرب ما افظعها وما افظع الشرور والمظالم التي تحمل الحربُ الناسَ عليها

فكتب تيموليون وجالية سيراقوسا الى الكورنثيين يخبرونهم بما حلَّ ببلادهم من الدمار ويطلبون منهم ان يرسلوا اناسًا تعمّر المدن الخربة وتحرث الاراضي البـائرة ويستغيثون بهم من القرطجنيين الذين كانوا يهددونهم بالحلول في بلادهم فاجاب

---

(١) الطاغية لقب ملوك اليونان وهو باليونانية تيرانُّوس Τεραννος ومعناهُ مثل معنى طاغية بالعربية

الكورنثيون طلبهم وانى منهم كثيرون ليسكنوا في سيراقوسا وارسلوا الى الذين هربوا من سيراقوسا وذهبوا الى بلدان بعيدة يقولون لهم انهم اذا اتوا الى كورنثوس يرسلهم اهالي كورنثوس الى سيراقوسا على نفقتهم . فمُدح الكورنثيون على عملهم هذا في كل بلاد اليونان لانهم على ما قيل "انقذوا سيراقوسا من طغاتها ونجّوها من البرابرة وردّوها الى اهاليها"

فاجتمع على تيموليون كثيرون من كورنثوس وايطاليا وصقلية ومدن اخرى يونانية فقسم الارض بينهم وباعهم البيوت واعطى ثمنها للذين افقرتهم الحروب ولكنهم لم يتمتعوا بالسلم مدّة طويلة لان القرطجنيين ارسلوا عليهم جيشاً جرّاراً فيه سبعون الف مقاتل مع خيل ومركبات ولم يكن تيموليون قادراً ان ينازلهم باكثر من سبعة آلاف مقاتل الّا ان رجاله كانوا اشدّاء يحبون ان يضحّوا انفسهم في الذود عن ذمارهم . وكم من فئة قليلة غلبت فئة كبيرة

فعزم تيموليون على مهاجمة القرطجنيين قبل ان يبلغوا المدينة وكانوا قد تجمّعوا على ضفتي نهر كريميسوس فصعد هو ورجاله الى قمة تلة تشرف على معسكر القرطجنيين فرأوا في طريقهم بغالاً حاملة بقدونساً فتشاءم رجاله من ذلك لان البقدونس يوضع على قبور

الموني فقال لهم كلاَّ بل نُصنع منهُ الاكاليل التي يُكلَّل بها المنتصرون في الالعاب وهذه اكاليل تبشرنا بالنصر القريب. ثم صنع منها اكليلاً وتكلل بهِ واقتدى بهِ باقي القواد والجنود فطابت قلوبهم وقويت عزائمهم ولما بلغوا قمة التلة كان على النهر ضباب كثيف فتقشَّع من امامهم فرأَوا القرطجنيين يعبرون النهر فقال لرجالهِ هلمَّ نهجم عليهم وهم يعبرون النهر فاندفعوا عليهم اندفاع السيل. وفي تلك الساعة عصفت عاصفة عظيمة في وجوه القرطجنيين مصحوبة بمطر وبرَد وبرق ورعد فعميت عيونهم من البرَد والبرق وصمَّت آذانهم من صوت الصواعق حتى لم يسمعوا اوامر قوادهم وكان المطَر والبرَد في ظهور رجال تيموليون فلم يعيقاهم عن الحرب فاضطربت جيوش القرطجنيين ايَّ اضطراب ثم طغى النهر بما نزل اليهِ من السيول فغرق فيهِ كثيرون منهم او ارتطموا باوحالهِ فذبح منهم رجال تيموليون عشرة آلاف واسروا خمسة آلاف وغنموا منهم غنيمة وافرة من ذهب وفضة حتى انهم تركوا النحاس والحديد ورموا في خيمة تيموليون الف درع بديعة الصنعة وعشرة آلاف ترس وغنموا ايضاً مئتي مركبة. ثم ارسلوا من فاخر الغنائم الى كورنثوس لتوضع في هياكلها تذكاراً لفضل الكورنثيين عليهم

وكان على تيموليون ان يحارب طغـاةً آخرين من طغاة صقلية الذين ظلموا الشعب لانهم تحالفوا على محاربة ديون فحاربهم وتغلَّب عليهم وقادهم الى القتل . فخضعت لهُ الجزيرة كلها وانتشر فيها العمار بعد ان كادت تصير خرابًا بلقعًا من جور طغاتها. وكثر سكانها وحُرِثت اراضيها وتسلَّط السلام عليها واقام تيموليون فيها لانهُ لم يحب ان يرجع الى كورنثوس ويتذكَّر مقتل اخيهِ واحبهُ اهالي صقلية وكرَّموهُ لانهُ السبب في حريتهم وسعادتهم فاقام بينهم مكرَّمًا معززًا

والآن نلتفت قليلاً الى سيرافوسا بعد ان حدثت هذه الحوادث فيها بعدَّة سنين فنرى في ساحاتها جمًّا غفيرًا وكلٌّ منهم يكلّم صاحبهُ في امرٍ ذي بال. وفيما هم على هذه الحال يعلو ضجيجهم وينقسمون قسمين فتجتاز بينهم مركبة يجرُّها فرسان كريمان فيها شيخ جليل القدر ابيض الشعر فيتبسَّم لهم ولكنهُ لا يلتفت يمنةً ولا يسرةً لانهُ ضرير لا يرى . وعندما تصل بهِ المركبة الى منتصف الساحة يقف فرساها ويمد الرجل يدهُ ليتكلم فيصغي الجمهور اليهِ كل الاصغاء . هذا الرجل هو تيموليون وقد ارسل الشعب اليهِ لكي يأتي وينصح لهم في امرٍ ما لانهم يستشيرونهُ في كل الامور العظيمة وينتصحون بنصحهِ . فيتكلم قليلاً ثم يسكت

وحينئذٍ تعود المركبة من حيث جاءت وتعلو اصوات الجمع كما كانت اولاً

ولنلتفت الى تلك الساحة مرةً اخرى في وقتٍ آخر فنراها مزدحمة بها اقدام الناس ولكننا لانسمع ضجيجاً ولا صوتاً بل نرى الناس يناجي احدهم الآخر مناجاة والدموع تهطل من عيونهم . ثم نرى نعشاً عظيماً يحملهُ نفر من الاحداث ووراءهم الوف من الرجال والنساء مكلَّلين بالاكاليل ومتسربلين بالحلل البيضاء فيضعون النعش على دكَّة ثم ينادي المنادي قائلاً ان اهالي سيراقوسا يدفنون الآن تيموليون الكورنثي الذي اهلك الطغاة واخضع البرابرة وعمَّر المدن الخربة وردَّ لاهالي صقلية شرائعهم وامتيازاتهم . ثم يدفنونهُ ويقيمون لهُ بعد ذلك نصباً في الساحة الكبرى تذكاراً لهُ مع ان ذكرهُ مخلَّد في قلوب شعبهِ

هذا ولنرجع الى ما كان من امر ديونيسيوس فنقول انهُ اقام في اثينا عدَّة سنين محتقراً مهاناً رفيقاً لسفلة الناس دأبهُ الخصام في الشوارع والحانات . وقال بعض المؤرخين انهُ افتقر فقراً مُدقعاً وصار معلماً للاولاد وكان جائراً على الاولاد كما كان جائراً على اهالي سيراقوسا . ومات غير مأسوفٍ عليهِ . فما اعظم الفرق بين نصيب الابرار والاشرار حتى في هذه الدنيا . قال الحكيم

"ذكر الصدّيق للبركة واسم الاشرار ينخر". وكم يكون الفرق بينهما عظيمًا في الآخرة.



الخاتمة

ايها القارئُ العزيز قد اتيت الآن على نهاية هذه القصص وانت تعلم ان بعضها غريب وبعضها كاذب وانهُ لا يوجد في الدنيا صخور طافية وجبابرة كالدباب لهم ست اذرع وثيران انفاسها من نار وتنانين لا تنام ومردة لكلٍّ منها عين واحدة في وسط جبينهِ الى غير ذلك. وانهُ لا يوجد آلهة كثيرة كما كان يظن قدماء اليونان بل اله واحد وهو الالهُ الحي الحقيقي. وان هذا الاله ليس غضوبًا قاسيًا منتقمًا بل هو رحيم جوّاد حنّان. هنيئًا لنا لاننا نعرفهُ هذه المعرفة ولاننا نعرف ان خطايانا تُغفَر بواسطة يسوع المسيح ونفوسنا تجدَّد بواسطة الروح القدس. ان بعض اولئك اليونان كانوا يودون ان يعرفوا هذه الامور. ومع اعتقادهم بهذه الالهة الباطلة كان بعضهم فضلاء بالحقّ. وتدلّنا قصصهم هذه على ان الحكمة والشهامة والشجاعة والصلاح افضل من الجهل والخسّة والجبانة والطلاح بما لا يُقدَّر وان عقاب الاشرار يتبعهم. وقد كان اليونان يعرفون ذلك

ويميزون الخير من الشرّ وكان بعضهم مثل ديون وسقراط واباميننداس وتيمولبون يصنعون الخير فهم مثال لنا في ذلك فلنقتدِ بهم في شجاعتهم وامانتهم ومحبتهم لاوطانهم ولنتعلم من سِيَرهم ان عيشة الصلاح اشرف عيشة وعيشة الشرّ ادنى عيشة وجزاء الاولى المجد والكرامة وجزاء الثانية الذل والهوان

ان يسوع المسيح هو نور الحياة وهو القائل من يتبعني فلا يمشي في الظلمة بل يكون لهُ نور الحياة . فلنتبعهُ ولنكن من جندهِ وخدَمهِ ولنكن حكمتنا معرفتهُ وسعادتنا وشرفنا خدمتهُ وسرورنا مدحهُ فتكون حياتنا صالحة مقدَّسة سعيدة وندخل

الحياة الابدية عند ما يكمل سعينا

فهرس المواضيع

فهرس الصور

اصلاح خطإ

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٢٨	٢	سولون	صولون
١٦٢	٢	الرجل الحكيم	الرجل الحكيم الصالح